د. عزّ الدّين النّاجح

العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة

مكتبة علاء الدّين للنّشر والتّوزيع
صفاقس - تونس
2011

د. عزّ الدّين النّاجح

العوامل الحجاجيّة
في اللّغة العربيّة

مكتبة علاء الدّين
صفاقس - 2011

- الكتـاب : **العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة.**
- المـؤلّف : **عزّ الدّين النّاجح.**
psycholing-1@hotmail.com
- الطّبعـة : الأولى – *2011*
- السّحـب : *1000* نسخة.

- النّاشر : **مكتبة عـلاء الدّيـن**
طريق منزل شاكر كلم *5* ، نهج الخليل، *3013*.
صفاقس - تونس.
librairiealaeddine@yahoo.fr
الهاتف : *74.400.119*

- المطبعـة : **دار نهى – صفاقس.**
- تصميم الغـلاف : **الفنّان رؤوف الكراي.**

- ر.د.م.ك. : *978 -9938 -03 -002 -0*

شكـر

إنّ هذا العمل المتواضع ما كان ليستوي على ماهو عليه لولا مراقبة ورقابة أستاذنا المشرف عبد الله صولة، فإليه نسوق جميل شكرنا وصدق اعترافنا بسابق الفضل إذ أنفق على العمل وصاحبه من وقته وجهده ومكتبته إنفاق من لا يخشى الفاقة.

فلا جزاء له إلاّ الوفاء لما تعلّمناه منه من صدق في البحث ودقّة في النقل وصرامة في المنهج فجازاه الله عنّا كلّ خير.

كما لا يفوتنا التقدّم بالشكر إلى كلّ من أعانني من أساتذة وأعوان المكتبة وراقنة سواء بالنصيحة أو بتوفير بعض المراجع.

الإهـــداء

نهدي جهد هذا العمل المتواضع مخلصين.

إلى غربة الوالد وقد ناهزت نصف القرن.

الى صبر الوالدة على هذه الغربة في أقصى الجنوب التونسي بوابة الصحراء.

إلى أخواتي اللاّئي لم يدّخرن جهدا في خدمتي ومساعدتي أثناء البحث وقبله وبعده وخاصة الأستاذة هناء الناجح وحدها التي تجشمت مشاق الرحلة بل الرحلات.

إلى روحيْ أستاذيّ شعبان بن بوبكر والطاهر الهمّامي الطّاهرتين.

تنويـه

هذا العمل في أصله بحث قدم لنيل شهادة الدراسات المعمقة في اللغة والآداب والحضارة العربية، وقد ناقشته في كلية الآداب منوبة، لجنة علمية متكونة من الأساتذة: عبد الله صوله مشرفا، وصالح بن رمضان رئيسا وشكري المبخوت مقررا. فلهم جميعا خالص الشكر على ملاحظاتهم القيّمة.

والشكر موصول لوحدة البحث في المصطلح الدلالي بكلية الآداب منّوبة في شخص رئيسها الأستاذ خالد ميلاد وأعضائها السادة الزملاء الباحثين على ترشيحهم هذا العمل للنشر.

تصدير

"إنّ الحجاج لمّا كانت وجهته هي المستقبل كانت الغاية منه أن يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له. ويكون ذلك بالتأثير في الذهن بواسطة الوسائل الخطابية"

عبد الله صولة : *1998 ، 304*.

"وإذا قصدنا إلى تبسيط هذا المشروع فإنه يتلخص في بيان القواعد التي تحكم تكوين الخطاب وترابطاته الممكنة... وإذا استقر هذا، فإن مشروع التداولية المدمجة لا يعدو أن يكون جزءا من المساعي النظرية والتطبيقية في مجال تحليل الخطاب لدراسة تماسكه وترابطه. وهنا تطرح قضية موقع الحجاج من هذا المشروع"

شكري المبخوت : *1998 ، 360*.

مقدّمة:

في مفهوم العامل الحجاجي

نعرض في هذه المقدّمة لثلاث مسائل من شأن إثارتها أن تنير لنا عنوان بحثنا وهذه المسائل هي أوّلا واقع الدراسات المتعلّقة بالعوامل الحجاجية وثانيا مفهوم العامل الحجاجي في ارتباطه بضرب من الحجاج هو الحجاج التقني وثالثا المظاهر الحجاجية التي يكتسبها الملفوظ بدخول العوامل الحجاجية عليه أو بعبارة أخرى الوظائف الحجاجية التي للعامل الحجاجي وعليه جوهر بحثنا في فصوله المختلفة.

I- واقع الدّراسات المتعلّقة بالعوامل الحجاجيّة :

لقد اضطرّنا البحث بادئ ذي بدء إلى العودة إلى المعاجم والموسوعات اللسانية عسانا نظفر بتحديد أوليّ للعوامل الحجاجية لكن لم نجد فيما وقع تحت أيدينا من دراسات على تعريف لها يسمها بكونها حجاجيةً. بل إنّ جلّ مَن درس الحجاج لم يتعرّض لها وإنْ تعرّض لها فبطريقة عرضية أو غير مقصودة وغير متأنّية على نحو ما نجده في كتابات بيرلمان[1] وتولمين[2] وبلونتان[3] وريبول وموشلار[4]. والأمر يكاد يشمل أيضا كتابات كل من ديكرو وأنسكومبر[5] اللذين أفدنا كثيرا من مفهومهما للعامل الحجاجي. ومن ثمّة لم يقع تحت أيدينا من الدراسات المعقودة للعوامل الحجاجية سوى دراستين

---

[1]- Perelman (Chaim) et Tyteca (Lucie Olbrechts) : Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique ; (éd), 1992, Bruxelles.
[2]- Toulmin (Stephan) : Les usages de l'argumentation ; traduit de l'anglais par Philippe de Barbanter, 1993, P.U.F.
[3]- Plantin (Christian) : Essais sur l'argumentation, éd. Kimé, 1990.
[4]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, (éd), du seuil, 1994.
[5]- Ducrot (O) et Anscombre (J.C) : L'argumentation dans la langue; (éd), Mardaga, 1997.

اثنتين يتيمتين الأولى في شكل مقال بعنوان "العوامل الحجاجية والخطط القولية" لرودولف قيقليون R. Ghiglione ضمن مصنّف "الحجاج والبلاغة"[6] والثانية في شكل فصل صغير لجون كارون J. Caron من كتابه "تعديل الخطاب: اللسانيات النفسية وتداولية اللغة"[7] والفصل عنوانه "العوامل المنطقية والعوامل الخطابية" فيه يعتبر العوامل الحجاجية قسما من العوامل الخطابية.

يقع مقال قيقليون المذكور آنفا في خمس عشرة صفحة وفيه يعرّف العامل الحجاجي في ثلاثة مواضع أمّا أوّلها فيعرفها فيه، العوامل الحجاجية، بكونها (علامة، رقعة، بطاقة) étiquets إذ يرى أنّه يوجد في اللغة عناصر يمكن تسميتها "عوامل" opérateur تساعد على تحقيق إحدى وظائف اللغة وإتمام اللعبة الحجاجية"[8] وعلى هذا المعنى تكون العوامل عنصرا مساعدا لإظهار المنحى الحجاجي في اللغة وأداة لتحقيق جلّ وظائفها. وأمّا ثاني المواضع التي عرّف فيها العامل الحجاجي فهو عند اعتباره العوامل "أدوات" وذلك عند دراسته لتأثير الخطاب إذ يقول "يمكن اعتبار كلّ خطاب ذا مدى تأثيري تضمنه أدوات لغوية تساعد المتقبّل على اكتشاف ما يعتبره الباث واقعيا وصحيحا"[9] والطريف في اعتبار العوامل أدوات هو ربطه إيّاها بوظيفة

---

[6]- Ghiglione (Rodolphe) : Opérateurs argumentatifs et stratégies langagières (in) argumentation et rhétorique, C.N.R.S, 1995.
[7]- Caron (Jean) : Les régulations du discours : Psycholinguistique et pragmatique du langage, P.U.F.
[8]- Ghiglione (Rodolphe): Ibid, p 229.
[9]- Ghiglione (Rodolphe) : Op. cit. : p 231, « On peut considérer que tout discours a une visée d'influence servie par les outils

الخطاب الذي لا يمكن فصله عن **الوظيفة التأثيرية الإقناعية** ولا يتمّ هذا التأثير بالإقناع إلاّ عبر هذه الأدوات أي العوامل الحجاجية.

أمّا ثالث هذه التعاريف، وهو بمثابة التعريف الجامع، فهو اعتباره العامل الحجاجي "العماد في عملية التواصل" إذ يقول "وحسب هذه الخطّة تمثّل العوامل فيما نرى، محرّكا رئيسيا من ضمن المحرّكات التي تقوم عليها عملية التخاطب[10]، والمُلاحظ في انتقاله من تعريف العامل بكونه "علامة" إلى تعريفه بكونه "أداة وآلة" إلى تعريفه بكونه "عماد عملية التواصل أو محرّكها الرئيسي" إنّما هو إلحاحه على أنّ غاية كلّ خطاب إنّما هو الإقناع فلا وجود لخطاب، دونما غاية إقناعية منه. ولا تتحدّد هذه الغاية المركز إلاّ بهذه العوامل وعليه فإنّ ڤيقليون عندما أراد تصنيف العوامل ودراسة أقسامها فإنّه ركن إلى مدى مساهمتها في عملية الإقناع ولكن كلّ هذا لا يتمّ، حسب قوله، إلاّ في ضوء عملية التخاطب وخطّة الباث في صوغ خطابه ويقترح في الأثناء جدولين، الأوّل حدّد فيه الهدف الأسمى من اللغة وهي عنده إمّا أن تحيل على الواقع أو تكشف عن منطق فكر ما وترابطه أو أن تحدث تأثيرا في المتقبّل وجعل العوامل في ضوء ذلك على أقسام أربعة وهي العوامل الدلالية والعوامل الأعرابية والعوامل الحجاجية والعوامل المنطقية كما يوضّحها الجدول التالي :

---

langagiers qui permettent d'indiquer à l'autre, l'interlocuteur, ce que le locuteur considère, comme réel, comme vrai ».

[10]- Ghiglione (Rodolphe) : Op. cit. p 241, « Dans cette stratégie les opérateurs constituent -à notre sens- l'une des chevilles ouvrières ».

الأصناف والتقسيمات / الأهداف العليا	دلالية	إعرابية	حجاجية	منطقية	أخرى
1- وصف الواقع والإحالة عليه	عوامل: - زمانية - تمثيلية - مقارنية	عوامل مرتبطة بـ: - الظروف الزمانية والأحوال والأهداف	-	-	المكان
2. أ- التعبير عن: منطق فكر ما وترابطه.	عوامل: - إحصائيّة - إضافية - تعدية - تفسيرية - سببية متتالية - تلخيصية	الربط والعطف عوامل مرتبطة بـ: - السبب والنتيجة	عوامل: - حجاجية - تراتبية متلاحقة	كلّ العوامل المرتبطة بالعمليات المنطقية الأساسية	
2.ب- التعبير عن حالة أو موقف			- عوامل مرتبطة بالشرط	-	
3- التحكّم في آليات التخاطب	عوامل: - تنافسية - تفاضلية	عوامل مرتبطة بالصّيغ الدالة على التفضيل	عوامل: - حجاجية - تعارضيّة	-	

[11] - Ghiglione (Rodolphe) : Opérateurs argumentatifs et stratégies langagières (in) argumentation et rhétorique, C.N.RS, 1995.

وأمّا الجدول الثاني فكان ذا بعد إجرائي فقد أحصى فيه قائمة من العوامل الحجاجية التي تتوازى مع وظائف اللغة الثلاث ويرى في الأثناء أنّ هذه القائمة من العوامل غير مغلقة وأنّ جميعها ذات مرام حجاجية عندما تستخدم في التخاطب. فليس لها من قيمة أخرى إلاّ البرهنة على حجاجية اللغة ووظيفتها الإقناعية. ولكنّ مداها الحجاجي زئبقيّ يختلف ظهوره باختلاف وظائف اللغة وكلّ ذلك لا يكون إلاّ في ضوء عملية التخاطب من ذلك مثلا أنّ العامل "لكن" mais الذي وقف عنده طويلا لا يمكن الوقوف على نجاعته الحجاجية إلاّ عند إدماجه في التخاطب وتحديدا في أيّ خانة من خانات استعمالات اللغة (وصف الواقع، التعبير عن منطق فكر ما وترابطه، التحكّم في آليات التخاطب). والطريف من كلّ هذا هو التقاء قيقليون مع ديكرو وأنسكومبر عندما حاولا حصر هذه العناصر اللسانية في الغاية الحجاجية وما زاده قيقليون هو مقولة التخاطب فلا تخاطب حينئذ، حسب رأيه، دون هذه العوامل وبالتالي لا تخاطب دون إقناع وحجاج. وعليه كان الجدول الثاني ذا بعد إجرائي تفصيلي وإن أشار قيقليون إلى أنّ قائمة العوامل فيه غير تفصيلية فهي يمكن أن تحتوي عددا أكبر من العوامل وكان الجدول ذا خانتين، الأولى فيها الأهداف العليا Les buts super ordonnés والثانية فيها مدوّنة العوامل كالآتي :

الأهداف العليا	العوامل المعنيّة (قائمة غير تفصيلية)
1- وصف الواقع أو الإحالة عليه.	أوّلا، ثمّ، أخيرا، بعد ذلك، في نفس الوقت، في النهاية، فيما بعد، إذن، قبل أن، إلى أن، مِن هنا، هنا، ثَمَ، بِـ، مِن ضمن، خاصّة، تحديدا، مثل، كما،

	ك، في صورة ما، في نفس الوقت، من أجل، لِـ، أيضًا، أكثر، أقلّ، قبل ذلك، حتى، أفضل مِن ذلك، أنظر الصفحة كذا، كما قيل...
2. أ- التعبير عن منطق فكر ما وترابطه	بادئ ذي بدء، ثانيا، إلخ، والدليل أنّ...، من جهة أخرى، باختصار و، من جديد، أيضًا، كذلك، إضافة إلى، مَعَ أن، كَمَا، بل، بَلْهَ، لا، أو، لو... إذن، لكن، ليس، لأنّ، وهو أنّ، يعني أنّ، بلفظ آخر، لذلك، هكذا، وفعلا، أيضًا، بالتالي، إذن، من ثم، صفوة القول، إجمالا، مثل، لأنّ، من أجل ذلك، بطريقة، بشكل ما، بأسلوب ما...
2. ب- التعبير عن حالة أو موقف	أجل، ربّما، الصيغ التي تأخذ محلّ المفاعيل المنصوبة على المصدرية، مثل كثيرا، إذا، إلاّ إذا، اللّهمّ إذا، باعتبار أنّ، في صورة ما إذا، في حالة كذا، بشرط كذا، على افتراض أنّ...
3- التحكّم في آليات التخاطب	دع، لكن، في المقابل، عكس ذلك، بالضدّ، ومع ذلك، بالرغم، في حين أنّ، بما أنّ، أيضا، مع ذلك، في الحقيقة، في الواقع، أخيرا...

12

ويعتبر فيقليون أنّ هذه القائمة غير مغلقة ويمكن أن تتّسع لأكثر عدد من العوامل وهي لا معنى لها إلاّ في ضوء التخاطب الرامي للإقناع الذي هو

---

[12]- Ghiglione (Rodolphe): Opérateurs argumentatifs et stratégies langagières (in) argumentation et rhétorique, C.N.R.S, 1995.

عنده الهدف الأوّل والأعلى. فمزية هذه العوامل حينئذ يكشفها التواصل الخطابي ولا قيمة لها منفردة لأنّها تشقّ كلّ خطاب وتحقّق وظائفه.

وتخلّل بحثه هذا دراسة لبعض العناصر اللغوية التي اعتبرها عوامل حجاجية وهي [لأنّ، إذن، إذا، لكنّ] وقد عالجها معالجة أقرب إلى المنطق منها إلى اللسانيات. ولولا إصراره على القيمة التخاطبية لهذه العوامل لوسمنا عمله بكونه مقاربة منطقية، وحسبنا دليلا نموذج دراسته لـ"إذن" حيث يعرف هذا العامل، أوّل ما يعرفه، بمصطلحات منطقية إذ يقول "عامل أحادي من المنطق الطاليسي ضمن القياس له وظيفة تحديد النتائج من المقدّمات"[13].

هذا إجمالا كيف تناول قيقليون العوامل الحجاجية معتبرا إيّاها عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل. ولا شكّ في أنّ للرجل فضل السبق في إحصاء أكبر عدد ممكن من العوامل الحجاجية وإن كاد يحصرها في الصرافم Les morphèmes، والرأي عندنا أنّ العوامل الحجاجية يمكن أن تمتدّ إلى الأبنية التركيبية والظواهر البلاغية وغيرها ولكن هذه مسألة أخرى وسنكتفي في بحثنا هذا بالصرافم دون غيرها كما فعل قيقليون وعلى غرار ما جاء في الجدول السابق وبعض هذه العوامل مثل [بل، لكن، إنّما... إلخ]، معدودة عند بعضهم في الروابط فكفانا قيقليون بذلك مؤونة التمييز بين هذين الصنفين وأدرج على غرار باحثين آخرين كثيرين سنراهم، الروابط في عداد العوامل الحجاجية لأنّها في نهاية المطاف توفّر للملفوظ بعده الحجاجي كما سنرى.

---

[13]- Ghiglione (Rodolphe): Op. cit., p 231.

غير إنّ بعض الدراسات التداولية[14]، تميّز بين العوامل الحجاجية Les opérateurs argumentatifs مثل (ما... إلاّ) (إن... إلاّ) وتعرفها بكونها تدخل على القضية الواحدة proposition atomique وبين ما تسمّيه روابط حجاجية connecteurs argumentatifs وهي ما يدخل على أكثر من القضية أو هي ما به تتحدّد القضية الكبرى moléculaire proposition وقد عقد موشلار وريبول فصلا كاملا عنوانه "الروابط التداولية" في كتابهما "تداولية الخطاب: من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب"[15] وجعلاها على اضرب. فهي إمّا حجاجية من قبيل (لأنّ، أيضا، من أجل ذلك...) أو تلخيصية استنتاجية من قبيل (إذن، وهكذا، وعليه...) أو حجاجية مضادة contre argumentation من قبيل (لكن، رغم ذلك، غير أنّه، على أنّه...) أو عوامل إعادة تقويم Réevaluatifs[16]، من قبيل (صفوة القول، في الختام، وعلى كلّ حال، وفي كلمة...) وعلى تعدّد أنواعها فإنّها ذات غاية واحدة وهي أنّها ذات وظيفة خطابية discursive[17] ويفصّل الباحثان هذه الوظيفة العامّة جدا - أي الوظيفة الخطابية- إلى ثلاث وظائف وهي:

[14]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) : Pragmatique du discours : De l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours. (éd) Armand Colin, 1998, Paris.

[15]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) : Pragmatique du discours : De l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours, p 75-98, (éd), Armand Colin, 1998.

[16]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) : Op. cit. p 85.

[17]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) : Op. cit., p 75 « Ces marques ont donc une fonction qui dépasse le cadre de la phrase autrement dit, elles ont une fonction discursive ».

1- ربط الوحدات اللسانية الكبرى أو الوحدات الخطابية.

2- الكشف عن بنية الوحدات اللسانية وتناسقها (الكلمة ، النص).

3- الكشف عن نتائج الملفوظ التي بدونها لا يمكن الظفر بأي معنى أو غاية من الملفوظ[18] وقد ضرب الباحثان مثالا بدراستهما لـ"لأنّ" parce que. متعرّضين لمفهومي المجهود والأثر العرفانيين Effort et effet cognitifs. متوقّفين في الأثناء عند الفوضى الاصطلاحية الحافّة بمصطلحي العامل والرابط[19]. وإن اختصّت الروابط بالربط بين القضيتين البسيطتين لتصبحا قضية كبرى proposition moléculaire حتى أنّ الدرس المنطقي يعرّف الروابط[20] بهذه الصفة بكونها ما به نميّز بين القضية الصغرى أو القضية النواة proposition atomique والقضية الكبرى moléculaire proposition. في حين أنّ العوامل هو ما نجده في القضية الصغرى[21]... غير أنّ ريبول وموشلار باعتبارهما الرابط يفرض استخراج نتائج conclusion من القضايا التي يجمع بينها وهي نتائج لا يمكن استخراجها في صورة غياب ذلك الرابط[22] فإنّهما يجعلان الرابط مرادفا

---

[18]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) : Op. cit., p 77.

[19]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) : Op. cit., p 77.

[20]- التقاليد المنطقية في حدّ ذاتها لم تفرّق بين هذين المصطلحين بل يصاحب عدم التمييز هذا ضوضاء اصطلاحية. وقد أشار إلى ذلك ريبول وموشلار في معجمهما بالصفحة 179 وفي كتاب تداولية الخطاب في الصفحة 77.

[21]- انظر ما قاله موشلار وريبول في معجمهما المذكور سابقا إذ يقولان بلفظهما :

« Par définition un opérateur est un foncteur qui a pour argument une proposition atomique, alors qu'un connecteur est un foncteur qui a pour argument une paire ordonnée de propositions », p 179.

[22]- ريبول وموشلار : المرجع السابق، ص 77.

على نحو ما سنرى من أمر تعريف العامل. فالتهدّي إلى النتيجة انطلاقا من ملفوظ ما إنّما هو من صنع العامل الحجاجي عادة.

إنّ فضل دراسة فيقليون، للعوامل الحجاجية يكمن حينئذ في جعله النوعين معا، أي الروابط والعوامل، آيلين إلى نوع واحد هو العوامل الحجاجية كما نتبيّنه من الجدول الثاني المذكور آنفا وقد أمكن له ذلك بإناطته الكلام الذي تدخل عليه هذه العوامل وهذه الروابط على التخاطب وبجعله كلّ تخاطب إنّما غايته الإقناع والحجاج. وهذا من نقاط القوّة في هذه الدراسة وسنأخذ برأيه في كتابنا هذا غير فاصلين بين العوامل والروابط. غير أنّ مصطلح "الإقناع" ومصطلح "الحجاج" بقيا غائمين في هذه الدراسة. فالحجاج هو على الأقلّ نوعان كما سنرى "عام" ordinaire وتقني technique[23]. والتقني هو الذي مداره على التوجيه l'orientation وهو الذي يتّخذ من العوامل مرتكزا له وعمدة. فانعدام الدقّة في مفهوم قيقليون للحجاج وحديثه بالتعميم عن وظيفة الإقناع التي للعوامل الحجاجية وسما دراسته من هذه الناحية بعدم النجاعة. وهذا النقص وجدناه مستدركا في الدراسة الأخرى التي عقدت للعوامل الحجاجية وهي دراسة كارون المذكورة بعنوان "العوامل المنطقية والعوامل الخطابية"[24] وفيها يحاول الباحث المقارنة منذ البدء بين كلا النوعين من العوامل، فيرى أنّ الدور الرئيسي للعوامل الخطابية إنّما هو تعديل الخطاب على عكس العوامل المنطقية التي

---

[23]- انظر في هذا السياق معجم ريبول وموشلار، عندما فرعا الحجاج إلى ضربين الحجاج بالمعنى العام au sens ordinaire والحجاج في معناه التقني au sens technique بالصفحة 88- 89.

[24]- Caron (Jean) : Les régulations du discours : Psycholinguistique et pragmatique du langage, p 173 - 185, P.U.F.

يكمن دورها الرئيسي في حساب القضايا في حين أنّ العوامل الخطابية يكمن دورها الرئيسي في توجيه الحجّة نحو نتيجة معيّنة إذ يقول في تعريف هذا النوع من العوامل "هذه العوامل الخطابية، إذا صَحَّتْ افتراضتنا، تلعب دورا تعديليا في الخطاب بالأساس وهذا ما تختلف فيه جذريا مع العوامل المنطقية، فدورها ليس حساب القضايا وقيمتها الحقيقية وإنّما يكمن دورها في توجيه الحجاج خاصّة والخطاب عامّة نحو نتيجة محدّدة وبالتالي فهي لا تصنع القضايا ولا تربط بينها ولكنّها تجمع وتنسّق بين الأحداث القولية. وفي كلمة إنّها المسؤولة عن تركيب وتحويل الوضعيات الخطابية"[25].

والطريف عند كارون أنّه منذ الفقرة الأولى في هذا الفصل يتحدّث عن مفهوم التوجيه والنتيجة ولكنّه لا يكشف لنا عن كيفيات التوجيه ولا عن طبيعة النتيجة وهذا ما اضطرّنا إلى البحث في كيفية التوجيه والطبيعة التي تكون عليها النتيجة ثمّ عقد كارون فقرة طويلة نسبيا في المقارنة بين النظامين (المنطق واللغة) وأشار إلى قضايا مشتركة بين اللسانيين والمناطقة. كمَعجَمَةِ العوامل المنطقية، وعدم وفاء هذه الأخيرة لبعض العوامل اللغوية في مستوى الدلالة وعدم قدرتها على التعبير عمّا يعرض من دلالات في اللغات الطبيعية، وطرَحَ في الأثناء بعض الأسئلة المكرورة مثل "لماذا وقع معجمة بعض العوامل المنطقية دون أخرى؟". وبعد المقارنة بين كلا النوعين من العوامل يعقد فقرة عنوانها "دلالة العوامل الخطابية"[26] وفيها حاول الإشارة إلى الروابط التي لم يفرّق بينها وبين العوامل مبيّنا أنّ دور العامل الرئيسي

---

[25]- Caron (Jean) : Op. cit, p 173.
[26]- Caron (Jean) : Op. cit. p 176.

إنّما يكمن في "تمكين الملفوظ من الانتقال من وضع أوّل إلى آخر ثان"[27] وهذا تلميح بمقولة التوجيه ولكنّه لم يبيّن كيف يتمّ هذا الانتقال.

إنّ دراسة قيقليون ودراسة كارون تتكاملان فالأولى أحصت لنا ما أمكن من عوامل صرفمية في اللغة والثانية ربطت هذه العوامل بالقدرة على التوجيه وإن لم تبيّن لنا مفهوم التوجيه هذا وبأيّ نوع من أنواع الحجاج هو مرتبط وهو ما نجده مبثوثا هنا وهناك في كتابات ديكرو وأنسكومبر الحجاجية.

II- الحجاج التقني ومفهوم العامل الحجاجي في كتابات ديكرو وأنسكومبر ودورها في صناعة التوجيه :

قسّم ريبول وموشلار تعريفات الحجاج التي عالجاها بالدرس في معجمهما[28] إلى صنفين، أمّا الصنف الأوّل فهو مجموعة التعريفات العامّة أو العادية المتعلّقة بما يسمّيانه الحجاج العادي argumentation ordinaire ويلخّصانها بقولهما إنّ الحجاج في معناه العام هو مجموعة الخطط الخطابية المستعملة من قبل المخاطب لإقناع جمهوره ومتقبّله"[29] من مثل ما نجده عند بيرلمان وأمّا المعنى الثاني للحجاج عندهما فهو المفهوم

---

[27]- Caron (Jean) : Op. cit. p 177, « Les opérateurs de la langue ne permettent qu'un passage entre deux situations ».

[28]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) :Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, éd., du Seuil, 1994.

[29]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) : Op. cit., p 88, « Dans son sens ordinaire l'argumentation désigne un ensemble de dispositifs et de stratégies de discours utilisés par un locuteur dans le but de convaincre son auditoire ».

الخاص وينعتونه بكونه المفهوم التقنيle sens technique ويعود هذا المفهوم إلى ديكرو وأنسكومبر ضمن مصنّف "الحجاج في اللغة"[30].

إنّ ديكرو وأنسكومبر قد أحدثا، فيما نرى، قطيعة ابستمولوجية في دراسة الحجاج ومنطلقنا في إصدار هذا الحكم هو تعريفهما للحجاج في حدّ ذاته إذ يعرّفاه قائلين "إنّ المتكلّم إذ يُحاجُّ إنّما يقدّم قولا أوّلا "ق1" أو مجموعة أقوال تقود إلى الإذعان والتسليم بقول آخر "ق2" أو مجموعة من الأقوال الأخرى"[31] ويمثّل "ق1" أو مجموعة الأقوال حجّة منها يكون الانطلاق ولو جاز لنا اقتراض مصطلحات تولمين لقلنا إنّ "ق1" يمثّل المعطى و"ق2" يمثّل النتيجة ويمكن أن يوازي "ق1" أي الحجّة عند بيرلمان قضايا الانطلاقLes propositions du départ فالقول أو الأقوال المنطلق تكون صريحة أمّا "ق2" أو النتيجة فقد تكون صريحة explicite أو ضمنية implicite وأطرف الحجاج وأكثره إتقانا ما كانت النتائج فيه ضمنية. والمركزي، بل والمفيد، من كلّ ذلك أنّ الحجاج هو ذلك الانتقال[32] من "ق1" إلى "ق2" أي من المعطى إلى النتيجة على حدّ عبارة تولمين أو من المقدّمات إلى الحقيقة باصطلاح بيرلمان. وهذا الانتقال من "ق1" إلى "ق2" هو مناط بحثنا أي أنّنا سنحاول الوقوف على آليات هذا الانتقال وكيفية اشتغالها.

---

[30]-عنوان الكتاب بالفرنسية هو L'argumentation dans la langue طُبع مرّات عديدة والطبعة التي نعتمد هي الطبعة الثالثة، 1997، Mardaga (éd).

[31]- Ducrot (O) et Anscombre (J.C): L'argumentation dans la langue, (éd.) Mardaga, 1997, p 8.

[32]- في الفصل الثاني من الكتاب يعرّف الباحثان الحجاج قائلين "إنّ مفهومنا للحجاج... لا يكون إلاّ بتوجيه المتقبّل نحو نوع من النتائج (المرجع السابق، ص 30).

فهذا الانتقال من "ق1" إلى "ق2" هو بؤرة التعريف التقني وهو ما عَبَّر عنه الباحثان، ديكرو وأنسكومبر، بفعل التوجيه L'orientation فما تحدّثا عن الحجاج إلاّ وكان حدث التوجيه من "ق1" إلى "ق2" هو آلية التعريف ويحسن بنا في هذا المقام الإشارة إلى أنّ التوجيه عند الباحثين في معناه الوضعي الأوّل ولم يكن ذا طاقة اصطلاحية كثيفة لذلك لن يضطرّنا استعمالهما لهذا المصطلح إلى العودة إلى المعاجم لتفسيره فالتوجيه الذي يقصدانه هو ذاك الانزياح أو الانتقال أو الحركة من وضع أوّل معلوم إلى وضع ثان قد يكون معلوما أي صريحا وغير معلوم (أي ضمنيّا) وهو النتيجة التي يروم الباث إذعان المتقبّل لها. كما تجدر الإشارة إلى أنّ التوجيه الذي صاغه الباحثان ليس بالمعنى الذي تحدّث عنه بيرلمان في ما يخصّ الموجّهات التعبيرية Les modalités d'expression من هنا نلاحظ كيف أنّ التوجيه مع ديكروكان بمعناه العام ومع بيرلمان بمعناه الاصطلاحي اللساني رغم ما بينهما من تشابه إذ يمكن أن تحقّق الموجّهات التعبيرية توجيه المعطى إلى النتيجة وقبل أن نتوغّل في المسألة أكثر نضرب مثلا على تجلّي عملية التوجيه في الملفوظ.

"ق1" : السيارة جاهزة.

"ق2" : لنذهب للنزهة.

"ق'2" : احمل أخاك إلى المستشفى.

"ق"2" : لنزر صديقنا عليّا.

"ق'"2" : دعها إذن في المستودع.

فالقول "ق1" أي "السيارة جاهزة" يمكن اعتباره كمقدّمة تمّ توجيهها إلى الباث ليحقّق بها المتقبّل ما كان ينتظره بل إنّ التوجيه خضع له الملفوظ أوّلا بالإخبار (الصفة جاهزة) وما أخبر الباث بالصفة إلاّ منتظرا من الجمهور نتيجة اقتضتها الصفة الطارئة (جاهزة) من قبيل أن تكون السيارة جاهزة فهذا مدعاة للتنزّه أو زيارة الأصدقاء، أو حمل أحد أفراد العائلة للمطار أو المستشفى... أو تركها في مستودع المنزل حتى وقت احتياجها وإن كانت النتائج متعدّدة فهذا من مقتضيات المقام الذي سيأتي الحديث عنه عند تعرّضنا لتدخّله في تحديد المفهوم Le sous entendu.

وإن كان العامل الحجاجي باعتباره عنصرا لغويّا ومقولة الموضع ينسفان نسفا مقولة المقام وإنّما ضربنا هذا المثل لبيان حدث التوجيه L'acte d'orientation وضمنية النتائج أو صراحتها ولعلّ هذا ما يدعم تعريف الباحثين للحجاج بكونه توجيها صرفا L'argumentation n'est qu'une pure orientation وأوّل ما نَلْمَحُ هذا التوجيه بادئ الأمر، وهذا مركز الطرافة في طرح ديكرو، في البنية اللغوية المجرّدة لذلك قالا "إنّ أطروحتنا... لكن يُقدَّم "ق1" كحجّة تفضي وتقود إلى التسليم بـ"ق2" لا يكفي بذلك أن يكون "ق1" من الحجج التي تضمن الإذعان بـ "ق2" وإنّما البنية اللغوية لـ"ق1" يجب أن تنهض بشروط من شأنها أن تؤهّله لكي يكون حجّة تقود إلى "ق2""[33].

[33]- Ducrot (O) et Anscombre (J.C) : L'argumentation dans la langue, p 81, (éd), Mardaga, 1997.

هكذا نلاحظ كيف عرّف الباحثان الحجاج بغايته وآليته. وغايته وآليته إنّما هو التوجيه رغم غموض هذا المصطلح عندهما إلى حدّ ما فهل التوجيه صفة للخطاب أم للمخاطب أم لكليهما رغم إلحاحهما على الخطاب أو بالأحرى البنية اللغويّة داخل هذا الخطاب. فقد كان همّ الباحثين في جميع ما كتبا عن الحجاج إبراز كيف أنّ البنية اللغوية هي التي يعود إليها سلطان الكلام الحجاجي وهذا كلام قد يصدم متقبّله لأوّل وهلة وإنّما تعمّق الباحثين في أصل نشأة البعد الحجاجي في الكلام هو الذي دفع بهما إلى مثل هذا الرأي ولعلّ السبب الرئيسي كما ترى "روث اموسى" هو "اعتبارهما الحجاج عملا لغويا لا عملا خطابيا"[34] فما من ملفوظ إلاّ وهو موجّه نحو نتيجة "ن" معيّنة وهذا التوجيه يمثّل قسما كبيرا من معناه (المفهوم Le sous-entendu) لذلك قال بلونتان إنّ الحجاج مع ديكرو يمرّ بثلاثة مراحل فأن نُحاجّ هو أن نزاوج ونحسن التوليف والتأليف بين هذه المراحل والعناصر وهي على التوالي[35]:

1- معنى الملفوظ Le sens de l'énoncé: (مرحلة الاتّجاه ونقطة الانطلاق).

2- توجيهه Son orientation: (مرحلة التوجيه).

3- قوّته الحجاجية La force argumentative: (مرحلة النتيجة).

---

[34]- Rooth Amossy: L'argumentation dans le discours, p 18, (éd), P.U.F., 2001.

[35]- Plantin (Christian) : Essai sur l'argumentation, p 38, (éd)., Kimé, 1990.

هكذا تتبّع بلونتان خطوة بخطوة تمشّي ديكرو في مراحله الثلاث منذ تحديد معنى الملفوظ إلى توجيهه إلى أن يدرك غايته وهي أن يكون له قوّة حجاجية والحقيقة، وهذا ما غاب عن بلونتان وحَضَرَنَا، أنّ التوجيه يطالُ المراحل الثلاث منذ تحديد معنى الملفوظ إلى الإنجاز وفي جميع هذه المراحل لا نجد حضورا للمتخاطبين إنّما الحضور كلّه للغة وحدها وللملفوظ وحده فهو المعني بالتوجيه وقد يكون هذا ما حدا ببلونتان إلى إصدار حكم في أنّ "نظريّة الحجاج في اللغة بنيوية"[36] وكي نجمل الحديث في نظرية الحجاج مع ديكرو وصاحبه كما فعل ذلك موشلار من قبل نقول إنّ اللغة حجاج محض وإنّ الحجاج توجيه صرف[37] وأنّ هذا الحجاج تفضحه البنية اللغوية المجرّدة وتصريف المتكلّم لملفوظه عبر عوامل حجاجية ومواضع متواضع عليها بين المجموعة المستعملة للغة واحدة. وتبقى لنا إشارة بسيطة إلى أنّ المواضع، وسيأتي الحديث في شأنها، مقولة كان قد استغلّها بيرلمان من قبل لكنّ "اقتراض" ديكرو وأنسكومبر لها وإعادة توظيفها كان أنجع إذ اعتبراها المصفاة التي بها نوطّد سلطة العامل الحجاجي لذلك كان الموضع وسيلة ثانوية لإتمام النظرية "وتدارك الوهن الذي قد يصيبها"[38] وسيأتي تفصيل النظرية وأسسها الابستمولوجية مبثوثا في أعطاف العمل... ومن الأسس المركزية نذكر اعتبار الوظيفة الحجاجية أسبق من الوظيفة الإبلاغية في اللغة.

---

[36]- Plantin (Christian) : Op. cit., p 38.

[37]- Ducrot (Osowald) et Anscombre (J.C) : L'argumentation dans la langue, p 168. (éd), Mardaga, 1997 « La force argumentative c'est orienter… »

[38]- Ducrot (Osowald) et Anscombre (J.C): Op. cit., p 168.

ولكن ما دخل العامل الحجاجي في كلّ هذا ؟

لئن كان الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر قائما على التوجيه، فإنّ العامل الحجاجي من شأنه أن يقوّي درجة هذا التوجيه Renforcer l'orientation في الخطاب. فإذا كان "ق1" في مثالنا السابق وهو "السيارة جاهزة" نحو "ق2" من قبيل "لنخرج للنزهة" مثلا فإنّ "ق2" هذا يكون التوجيه إليه أوكد وألحّ حين نُدخل على الجملة عاملا حجاجيا مثل "إنّما" فنقول "إنّما السيارة جاهزة" وعليه صيغ تعريف العامل الحجاجي انطلاقا من مفهوم ديكرو وأنسكومبر بالقول "إنّ وجود بعض الصرافم في بعض الجمل يُعطيها توجيها حجاجيا... للوصول إلى نتيجة محدّدة دون غيرها"[39] فهي حينئذ عناصر لسانية وليست مقامية مثلا وهذا ما أكّده ديكرو في كتاب السلالم الحجاجية لكن بصيغة أخرى إذ يرى أنّ "القيمة الحجاجية للملفوظ ليست نتيجة لمداه الإبلاغي. لكن الجملة تكون حاملة لصرافم أو تعابير أو موجّهات، إضافة إلى محتواها الإبلاغي تصلح لإعطاء وجهة حجاجية للملفوظ تجعل المتقبّل في اتّجاه من الاتّجاهات"[40]. والمفيد من هذين التعريفين أنّ العوامل هي الآلة التي نصل بها إلى النتيجة من الملفوظ وذلك عند تقويتها للحدث التوجيهي للمصرّح به وهذا ما أشار إليه انسكومبر في مقاله "حيوية المعنى والسلّمية"[41] إذ يقول "إنّ المصرّح به يكون عادة حاملا لنتائج تخرجها،

---

[39]- Ducrot (Osowald) : Les mots du discours, p 27, (éd)., Minuit, 1980.

[40]- Ducrot (Osowald) :Les échelles argumentatives, p 15, (éd.), Minuit, 1980.

[41]- Anscombre (J.C) : Dynamique du sens et scalarité, p 135, colloque de Cerisy, 1987.

للمتقبّل، المتغيّرات الحجاجية المحايثة" والطريف في الأمر أنّه رغم عودتنا إلى جلّ المعاجم المختصّة والموسوعات اللّسانيّة الكبرى لم نظفر بهذا المعنى للعوامل الحجاجيّة. رغم أنّ ديكرو وأنسكومبر يلحّان على ما للعوامل من بعد لساني فهي عندهما من قسم الصرافم morphèmes التي لها وظيفة دفع المتقبّل إلى تحديد النتيجة "ن"[42] وذلك عبر اكتشاف الخطّة الخطابية التي يقوم عليها الملفوظ عند احتوائه على العامل الحجاجي بل إنّه ثمّة من الباحثين على غرار "روث اموسى" من يرجع تناسق الخطاب وترابطه وتكامل بنيته إلى العوامل الحجاجية لأنّها "تساعد على اكتشاف وجهته الحجاجية"[43].

أمّا ريبول وموشلار فإنّهما تعرّضا إلى العوامل بصيغة أخرى تطلّبها طبيعة عملهما ذي الصبغة المعجمية. معتبرين التوجيه الحجاجي لا يتمّ إلاّ عبر وجود عنصرين أو عاملين الأوّل خِطابي discursif والثاني لساني لذلك قالا "هنالك عاملان أساسيان بهما يقع توجيه الجملة"[44] وبعد أن تعرّضا لما سمّياه بالعوامل الخطابية يعرّفان العوامل الحجاجية انطلاقا من كتابات ديكرو وأنسكومبر إجمالا بكونها شارات مختصّة في الكشف عن وجهة الملفوظ الحجاجية بل إنّهما يتجاوزان هذا التعريف إلى إسناد وظيفة ثانية للعوامل وهي تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية وذلك بتقليص ما يشوبه من غموض أو تعدّد في التأويلات التي يجعلها العامل الحجاجي محدّدة وذلك بسرعة "ربطه

---

[42]- Ducrot (Osowald) : Les mots du discours, p 14, (éd)., Minuit, 1980, Paris.

[43]- Rooth (Amossy) : L'argumentation dans le discours, p 20, (éd), P.U.F, 2001.

[44]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p 315, (éd.) du Seuil, 1994.

بين الحجّة والنتيجة"[45] فلا يضيع المتقبّل في التأويلات المختلفة التي لا توصله إلى المقصود من الحدث التلفّظي. وفي ختام تعريفهما للعوامل يقرّ موشلار وريبول بكونها، أي العوامل الحجاجية، هي "الآثار الظاهرة"، التي تؤكّد حجاجية الملفوظ... وليس لها من وظيفة سوى ضمان التوجيه الحجاجي للملفوظ[46].

إنّ ديكرو وأنسكومبر في جلّ ما ألّفَا وخاصّة "الحجاج في اللغة" و"كلمات الخطاب" و"السلالم الحجاجية" يشتركان مع ريبول وموشلار، وريبول وموشلار في "المعجم الموسوعي للتداولية" في كون العوامل الحجاجية تعمّق التوجيه وتقوّيه. وذلك برسم مسلك Chemin تأويلي يسير قصير يربط "ق1" بـ"ق2" فلا يضيع المتقبّل بين المفاهيم والتأويلات فيأخذ تأويله وجهة غير التي يقصدها الباث فلا يضمن بذلك تسليم المتقبّل وإذعانه. كما اتّفق الجماعة على قسمها اللغوي فإذا هي صرفم وإن كان ديكرو قد لمّح في السلالم الحجاجية إلى كون العاملية الحجاجية قد تفيض على مقولة الصرفم لتشمل بعض الصيع الجاهزة أو التراكيب ولكن وإن اختلفت الأواني أي الشكل اللغوي أو القسم النحوي فإنّ المعاني واحدة أي الغاية والهدف من العوامل الحجاجية واحد، وهو مزيتها في إظهار حجاجية الملفوظ وذلك بتقوية التوجيه renforcement de l'orientation نحو "ق2".

---

[45]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques) : Op. cit., p 319.

[46]- لمزيد التعمّق في المسألة يمكن العودة إلى معجم ريبول وموشلار، بين الصفحتين 319 - 322.

III - المظاهر الحجاجية التي يكتسبها الملفوظ بدخول العوامل عليه : أو الوظائف الحجاجية التي للعامل الحجاجي :

يمكن لنا في ضوء ما تقدّم من كلام على مفهوم العامل الحجاجي أن نستخلص إلى كون العامل الحجاجي في نطاق ما يسمّى بالحجاج التقني القائم على مبدإ القول بالتوجيه إذ يدخل على الملفوظ يكسبه مظاهر حجاجية ثلاثة أو وظائف حجاجية ثلاثا هي أوّلا القضاء على تعدّد الاستلزامات والنتائج. وذلك بنقل المتقبّل من التعدّد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد من الملفوظ فلا يضيع بين النتائج التي يؤدّي إليها القول الحجّة فلا تتعدّد تبعا لذلك المسالك التأويلية / Les chemins interprétatifs. فيعمد العامل الحجاجي إلى حصرها حتى تقود إلى نتيجة واحدة وذلك بالانتقال بالملفوظ من الإبلاغية إلى الحجاجية. وثانيا قدح المواضع وتنشيطها L'activation d'un topoi فالموضع يكون هو العمدة في ارتباط "ق1" أي المعطى بالنتيجة أي "ق2" وعلاوة على وظيفته التعاقدية هذه بين الحجّة والنتيجة فإنّه يعتبر ضامنا من ضمانات تسلسل الخطاب L'enchaînement de discours. وعنصرا من عناصر تناسق الخطاب. وثالثا تقوية التوجيه نحو النتيجة "ن" وذلك على صعيد ما يسمّى بالمربّعات الحجاجية والسلالم الحجاجية التي يمكن اعتبارها آلية من آليات البرهنة على مقولة التوجيه الحجاجي وحجاجية اللغة.

لكلّ مظهر من هذه المظاهر الحجاجية الثلاثة أو لكلّ وظيفة من هذه الوظائف الحجاجية التي للعامل نعقد فصلا خاصا.

الفصل الأوّل:

العامل الحجاجي والمفهوم

المفهوم le sous-entendu داخل في مصطلحية ديكرو في شبكة عامّة منها المنطوق le posé والمقتضى le présupposé ويقول معرّفا هذه المصطلحات الثلاثة في سياق كلاميّ واحد: "[أمّا] المنطوق فهو ما أثبته أنا بصفتي متكلّما و[أمّا] المقتضى فهو ما أقدّمه على أنّه مشترك بيني وبين مخاطبي... و[أمّا] المفهوم فهو ما أترك مخاطبي يستنتجه من كلامي"[47].

على هذا النحو يكون مصطلحا "مقتضى" / "مفهوم" عند ديكرو مرادفين أو يكادان لمصطلحي غرايس "استلزام تواضعي" " implicature conventionnelle" و"استلزام تخاطبي" " implicature conversationnelle" أمّا الأوّل فهو من قبيل المقتضى وأمّا الثاني فهو من قبيل المفهوم ويرى ريبول وموشلار أنّهما غير الاستلزام المنطقي implication الذي هو علاقة منطقية تجمع قضية أو مجموعة قضايا بواسطة عملية استدلالية inférentielle استنباطية déductive فالاستلزام بهذا المعنى مرادف للنتيجة التي تتهدّى إليها العملية الاستدلالية من قبيل:

1- سقراط إنسان

2- وكلّ إنسان فان

النتيجة (ن) : سقراط فان

فالنتيجة التي هي في الوقت نفسه الاستلزام : "سقراط فان" تجعلنا نؤكّد أنّ الاستلزام المنطقي مرادف، بهذا المعنى، للاستدلال inférence من

[47]- Ducrot (O) : Le dire et le dit, p 20, (éd), minuit 1984.

حيث هو عملية استدلالية نتوصّل بها إلى النتائج انطلاقا من المقدّمات les propositions[48].

هذا الضرب من الاستلزام منطقي ولا علاقة له بالاستلزام التواضعي المرادف كما رأينا للمقتضى من نحو "كفّ زيد عن التدخين" التي يكون الاستلزام التواضعي فيها هو أنّ زيدا كان يدخّن كما أنّه لا علاقة له بالاستلزام التخاطبي المرادف للمفهوم من نحو "القهوة تذهب عنّي النوم" فالاستلزام التخاطبي فيها "شكرا لا أريد قهوة" والحقّ أنّه مثلما نقول استلزاما منطقيّا لنفرّق بينه وبين الاستلزام التواضعي الذي هو المقتضى في وجه من وجوهه والاستلزام التخاطبي الذي هو المفهوم في بعد من أبعاده فإنّه يحسن بنا أن ننعت المفهوم هنا بالتخاطبيّ هو أيضا لكون المفهوم قد يكون منطقيّا فالمفهوم المنطقيّ كما يعرّفه عادل فاخوري انطلاقا من تصوّر المناطقة العرب له "هو أصغر مجموعة من الخصائص الصالحة لتحديده"[49]. كما يكون تخاطبيّا أي تابعا للخطاب ونابعا منه على النحو الذي فهمه علماء الأصول كما سنرى لكن نريد أن نؤكّد أنّه كلّما قلنا في بحثنا كلمة مفهوم فإنّا نقصد بها المفهوم التخاطبي le sous-entendu .

يوجد إذن تقابل بين شبكتين من المصطلحات كثيرا ما تداخلتا في الدراسات العربية وحتى الغربية المتعلّقة بالحجاج فهناك من ناحية الشبكة الاصطلاحية المنطقية التي من مفرداتها الاستلزام المنطقي implication والنتيجة conclusion والاستدلال inférence وهناك من ناحية أخرى

---

[48]- راجع هذه الفكرة في المعجم الموسوعي للتداولية المذكور آنفا بين الصفحتين 530 - 531.

[49]- فاخوري (عادل) : منطق العرب، دار الطليعة بيروت، ط 2، 1981، ص 48.

الشبكة الاصطلاحية التداولية والحجاجية والتي من وحداتها المعجمية الاصطلاحية الاستلزام التواضعي، المقتضى، الالتزام التخاطبي، النتيجة، المفهوم وإن تداخلت الشبكات خصوصا في ما يتعلّق بمصطلح "النتيجة". فمثلما تكون النتيجة في الشبكة المنطقية مرادفه الاستلزام المنطقي كما رأينا تكون النتيجة في الشبكة الحجاجيّة مرادفة للمفهوم إنّها "الملفوظ الضمنيّ أو الصريح الذي من أجله استخدمت الحجّة"[50] من ذلك مثال من موشلار وريبول:

- النّساء في فرنسا جميلات خصوصا في باريس.

المفهوم أو الاستلزام التخاطبي: النساء أكثر جمالا في باريس منها في أماكن أخرى بفرنسا[51].

هذا المفهوم هو نفسه النتيجة conclusion الحجاجية على نحو ما عرّفناها آنفا. وهي ثمرة العامل الحجاجي "خصوصا" الوارد في الجملة.

الحاصل من كلامنا إلى حدّ الآن أنّ مصطلحات المفهوم والاستلزام التخاطبي والنتيجة مترادفة وأنّ المفهوم يقود إليه في الملفوظ عامل حجاجي عادة كما هو الشأن في المثال السابق.

غير أنّ العامل الحجاجي الداخل على ملفوظ ما إذ يقود إلى نتيجة أو مفهوم ما **فإنّ هذا المفهوم يكون أحاديّا unaire مرّة متعدّدا مرّة أخرى.**

---

[50]- Reboul (Anne) et Moeschler (Jacques): Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, éd., du seuil, 1994, p 315.

[51]- المرجع السابق، ص 282.

I- العامل الحجاجي وأحادية المفهوم (مفهوم المخالفة عند الأصوليين ونظرية المفهوم عند بعض اللسانيين):

المفهوم عند الأصوليين زوج للمنطوق والوجه الخفي منه، فلئن اعتنى البلاغيون والنحّاة بالظاهر من القول فإنّ الأصوليين قد كلّفوا بما خفي لذلك "عند دراستهم للجملة عقدوا بابا للبحث عن معنى يخالف أو يوافق معنى المنطوق بها يسمّونه المفهوم"[52] والبيّن من هذا الكلام أنّ المفهوم سليل المنطوق وامتداد له لا صلة للمقام به والحقيقة أنّه ما تحدث معجمي[53] أو أصولي عن المفهوم إلاّ ونفى عنصر المقام في تحديده حتى لكأنّه بعبارة أوريكيوني حدث لغة fait de langage صرف إذ لا صلة للمقام والعناصر غير اللسانية في إنشاء المفهوم.

أمّا الغزالي فقد تطرّق إلى الحديث عن المفهوم في فصل من كتابه المستصفى من علم الأصول[54] إذ يعتبر المفهوم هو "فهم لغير المنطوق من المنطوق"[55] بآليَتَيْنِ هما "سياق الكلام ومقصوده و"الاستدلال" وهاتان الآليتان على اختلاف طبيعتيهما تذكّراننا في الآن نفسه بديكرو عندما يُقرّ بضرورة الوصول إلى المفهوم عبر نمط من الاستدلال مخصوص وباريكيوني عندما ألحّت على أهمّية السياق في تحديد المفهوم وهذا تقريبا ما أشار إليه

---

[52]- جمال الدين مصطفى: البحث النحوي عند الأصوليين، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980، ص 276.

[53]- من المعجميين نقصد التهانوي في كتابه كشاف اصطلاحات الفنون والجرجاني في كتابه التعريفات.

[54]- وهو فصل "فيما يُقتبس من الألفاظ لا من حيث صيغتها بل من حيث نحواها وإشارتها".

[55]- الغزالي أبو حامد : المستصفى من علم الأصول، بيروت، 1993، ص 84 - 85.

الأستاذ صولة عند قوله "وقريب من معنى المفهوم عند الأصوليين معناه عند اللسانيين فالمفهوم هو عندهم ما يفهم ولا يصرّح به وهو ما يستنبط من المنطوق فهو حدث بلاغي مرتبط بمقام القول"[56]. أمّا أقسامه عندهم، وهو ما تميّز به التناول الأصولي عن البحث اللساني الحديث إذ احتفوا به أيّما احتفاء، فقسّموه إلى قسمين.

أوّلهما مفهوم الموافقة وهو "ما يفهم من الكلام بطريق المطابقة"[57] وهو "أن يكون المفهوم موافقا لحكم المنطوق"[58] ويسمّيه بعضهم "دلالة النصّ أو قياس الأوّلية"[59] كقوله تعالى "ولا تقل لهما أف" إذ المفهوم من هذه الآية التي وقف عندها جلّ من تحدّث عن المفهوم تحريم النهر والضرب والقتل وكلّ ما من شأنه أكثر أذى من التأفيف ويعلّق الشيخ محمد الحضري على هذه الآية في سياق حديثه عن تقسيم الحنفية للدلالة غير اللفظية واضعا إيّاها في خانة "دلالة النص" إذ يقول "هي دلالته على ثبوت حكم ذُكِرَ لما سكت عنه لفهم المناط بمجرّد فهم اللغة وذلك ما يسمّى في اصطلاح آخر بالقياس الجلي"[60] وغير بعيد عن هذا القول يعلّق الغزالي على هذه الآية في سبيل تحديد مفهوم الموافقة إذ يقول "فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق

---

[56]- صولة (عبد الله) : الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، تونس، 2001، ج 1، ص 303.

[57]- الجرجاني (علي بن محمد) : التعريفات، ص 235، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت 1988.

[58]- جمال الدين (مصطفى) : البحث النحوي عند الأصوليين، العراق، 1980، ص 276.

[59]- جمال الدين (مصطفى) : المرجع السابق، ص 276.

[60]- الخضري (محمد) : أصول الفقه، دار الفكر، بيروت، 1988، ص 221.

الكلام ومقصوده كفهم تحريم الشتم والضرب والقتل من قوله تعالى ولا تقل لهما أفّ وهذا قد يسمّى مفهوم الموافقة أو فحوى الخطاب"[61].

وما يسترعي انتباهنا من قراءة الرجلين للآية وللمفهوم من خلالها هو حديثهما عن مصطلح "القياس الجليّ" مع الشيخ الخضري والسياق مع الغزالي وهما مصطلحان لهما في الدراسات اللسانية شأن كبير فديكرو مثلا كما أشرنا آنفا يلحّ على ضرورة توخّي طرق مخصوصة من الاستدلال inférence للظفر بالمفهوم في حين أنّ أوريكيوني تطرّقت إلى مفهوم السياق contexte فلا قطيعة حينئذ بين الأصوليين واللسانيين في هذا المقام.

أمّا الضرب الثاني وهو أكثر مشكلية وهو "مفهوم المخالفة" وهو أن يدلّ اللفظ على مخالفة حكم المسكوت عنه للمذكور ويسمّى "دليل الخطاب"[62] فأصل التسمية فيه بالمخالفة ، مخالفته وعدم مطابقة المنطوق للمفهوم في الحكم إذ ليس ثمّة من شارات تؤكّد اتّفاقهما حكما وهو ما حصر فيه الغزالي المفهوم بمعناه العام إذ يقول "ومعناه الاستدلال بتخصيص الشيء بالذكر على نفي الحكم عمّا عداه ويسمّى مفهوما لأنّه مفهوم مجرّد لا يستند إلى منطوق وطريقة الوصول إليه هو "الالتزام"[63] وقسّمه الأصوليون إلى خمسة أضرب وحصروها في بنى ومقولات نحوية دلالية جامعة هي الصفة التي يحققها الحال والنعت وبعض المركّبات البيانية والشرط الذي يحقّقه تركيب الشرط والغاية

---

[61]- الغزالي (أبو حامد) : المستصفى في علم الأصول، مذكور، ص 84 - 85.

[62]- الخضري (محمد): أصول الفقه، مذكور، ص 123.

[63]- تقريبا يوافق مفهوم الالتزام عند الجرجاني مفهوم الاستلزام التخاطبي عند قرايس الذي تبنّاه ديكرو Implicature conversationnelle.

التي تحقّقها بنى بعض المفاعيل والعدد الذي تحقّقه مقولة العدد واللقب وهو "دلالة تعليق الحكم باسم جامد على نفي ذلك الحكم من غيره"[64] وقد أضاف بعضهم الحصر والاستثناء...

وما يسترعي الانتباه التقاء الأصوليين مع بعض اللسانيين المحدثين شأن ديكرو وأوريكيوني في بعض ما يتعلّق بالمفهوم من ذلك اعتبار الطرفين المفهوم عنصرا لغويّا وركونهما إلى آليات ومعايير لغوية محضة في استخراجه وإن أغفلوا الجانب المنطقي في التركيب اللغوي وفي التفكير الذي يفكّ شفرة هذا التركيب.

فديكرو على سبيل المثال يعتبر بنية الشرط في جملة من قبيل "إذا جاء زيد فسينطلق عمرو" محقّقة المفهوم فيقول في التعليق عليها "في مجمل المقامات المفترضة فإنّ من يسمع هذه الجملة لا يستنتج فحسب أنّ مجيء زيد ينشأ عنه انطلاق عمرو باعتبار ذلك شرطا كافيا لهذا وإنّما يستنتج أيضا أنّ انطلاق عمرو رهين مجيء زيد فهذا شرط ضروريّ لذاك فيكون من غير الطبيعيّ بل من قبيل الكذب أن نتلفّظ بجملة "إذا جاء زيد فسينطلق عمرو" دون أن نفكّر في المفهوم منها وهو : "إذا لم يأت زيد فلن ينطلق عمرو"[65].

لا شكّ في أنّ الشرط وأداته المحقّقة له في الجملة وهي "إذا" هما المسؤولان عن ظهور ما يسمّيه ديكرو بالمفهوم وهو عينه "مفهوم المخالفة" عند الأصوليين الناجم عن عامل الشرط في الآية القرآنية "وإن كنّ أولات حمل

---

[64]- الخضري (محمد): أصول الفقه، دار الفكر، بيروت، 1988، ص 123.

[65]- Ducrot (O): Le dire et le dit, Op. cit., p 17 - 18.

فأنفقوا عليهنّ"[66] قال السيوطي في استخراج مفهوم المخالفة منها "أي فغير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهنّ"[67]. ومفهوم الشرط* من الناحية النظرية هو عند علماء أصول الفقه "دلالة اللفظ المفيد لحكم معلّق بشرط على نقيض ذلك الحكم عند عدم الشرط نحو إن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهنّ دلّ على إثبات نقيض حكم أولات الحمل وهو وجوب الإنفاق لغير ذوات الحمل والنقيض هو عدم الوجوب"[68].

ولنقل في معرض كلامنا هذا أنّ ممّا دفعنا إلى اقتراح تعريب sous-entendu بالمفهوم إنّما هو تطابق كلام ديكرو وكلام الأصوليين على المفهوم في بنية الشرط وتعمد أوريكيوني شأن ديكرو إلى اعتبار الشرط حاملا للمفهوم[69] وتضيف إلى ذلك بعض التراكيب وبعض الصرافم المعبّرة عن النفي وغير ذلك[70] ولعلّ هذا هو الذي حدا بأوريكيوني إلى أن تعتبر المفهوم الذي يبقى تحقّقه "رهين الخصوصيات المقامية" "قائما رغم ذلك في الملفوظ شأن المقتضى (وليس حدثا قوليا محضا) وإن كان ظهوره يحتّم استخدام كفاية المؤوّل الموسوعية والبلاغية والتداولية إلى جانب الكفاية اللسانية"[71].

---

[66]- سورة الطلاق، الآية 6.

[67]- السيوطي (جلال الدين) : الإتقان في علوم القرآن، فصل في منطوقه ومفهومه، ج 2، ص 32.

* - انظر في هذا السياق أيضا ما قاله الأصوليون خاصّة من المفسّرين في آية : "إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا" التي أجمع جلّ من تطرّق إليها على أنّه "إذا جاءكم غير الفاسق فلا تتبيّنوا" وهذا المفهوم قدحه الصرفم "إذا".

[68]- الحضري (محمد) : أصول الفقه، ص 123، دار الفكر، 1988.

[69]- Orecchioni (C.K) : L'implicite, p 40 (éd.) Armand Colin, 1986.

[70]- المرجع السابق، ص 43.

[71]- المرجع السابق، ص 39 - 40.

ويهمّنا من شاهد أوريكيوني قولها عن المفهوم "إنّه قائم في الملفوظ" وقولها عنه أيضا إنّه ليس حدثا قوليا محضا" وهو ما من شأنه أن يجعل المفهوم غير متعدّد وناجم مباشرة عن البنية اللغوية. إنّ هذه البنية اللغوية المسؤولة عن ظهور المفهوم بصرف النظر عن المقام وخصوصياته تكون في نظرنا مشتملة مبدئيّا على عامل حجاجي يوجّه الملفوظ نحو نتيجة أو مفهوم بعينه ويمكن أن نكتفي بدراسة أدوات النفي والقصر والاستثناء باعتبارها عوامل حجاجية ينشأ عنها مفهوم واحد فحسب.

I.1- عاملية أدوات النفي:

مثّل النفي مبحثا مشتركا بين البلاغيين والنحاة ولئن اعتبره البلاغيون وتحديدا أهل المعاني شقّا للإثبات في الخبر فعالجوا علاقته بالإثبات، فإنّ النحاة قد عالجوه من منطلق في الدرس مغاير ذي أصول بنيوية فاعتنوا به وأحصوا حروفه ومقولاته وها نحن نستعين بكلا الدرسين دون عودة واجترار للتعريفات والقضايا الخلافية في سبيل بيان كيف أنّ النفي عامل حجاجي يحقّق به الباث وظيفة اللغة الحجاجية المتمثّلة في إذعان المتقبّل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة "ن". ولقد حصرت العربية في لغتها حروف متمحّضة للنفي من قبيل (لا، لن، لم، ما) يصدق عليها قول أنسكومبر "يوجد في اللغة صرافم، عوامل حجاجية، تشدّ الملفوظ وتبدّل / توجّه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته"[72].

---

[72]- « Il y a en langue des morphèmes, opérateurs argumentatifs, qui combinés avec un énoncé, modifient la classe des conclusions liée la phrase attachée à l'énoncé de départ, cette modification est

وإذا كان النفي في عُرف المناطقة "هو العامل الذي يحوّل القضية الصحيحة إلى قضية خاطئة والخاطئة إلى صحيحة وهو عامل أحادي opérateur unaire"[73] فإنّه في الدرس اللغوي غير بعيد عن معناه ووظيفته في الدرس المنطقي فهذا ابن يعيش يعرّف النفي بأنّه إكذاب إذ يقول "اعلم أنّ النفي إنّما يكون على حسب الإيجاب لأنّه إكذاب له فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلاّ أنّ أحدهما نفي والآخر إيجاب"[74] والمركزي في تعريف ابن يعيش للنفي هو اعتباره إيّاه "إكذابا" وفي الإكذاب توجيه للملفوظ وللمتقبّل نحو النتيجة التي يجب أن يصدق بها المتقبّل قصرا. إذ محتوى القضية بلفظها لم يتغيّر سوى بتغيّر النتيجة من جراء سلطة العامل عليها لذلك قال "فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما" ولكن بين الملفوظين المثبت منهما والمنفي يوجد على الأقلّ فرقان أوّلهما شكليّ ويتمثّل في حالة النفي في صدارة العامل، عامل النفي، في مستوى الحيّز النُطقي أو الكتابي على القضية مثال :

∅ يُفلح الظالمون

"لا يفلح الظالمون"[75]

والثاني مضموني ويتمثّل في حصول المفهوم من النفي. فلئن كانت جملة "يفلح الظالمون" ممّا يمكن أن يقال على الابتداء، والعمل اللغوي فيها هو

---

souvent une réduction » : (Anscombre, dynamique du sens et scalarité, colloque de Cerisy, 1987, p 134).

[73]- Ben Nasar (A) : Logique symbolique et élémentaire, p 25, T2, (éd), C.P.U, Tunis 2000.

[74]- ابن يعيش (موفق الدين) : شرح المفصل، ص 107، ج 8، عالم الكتب، د. ت.

[75]- الأنعام الآية 135.

الإثبات، إثبات "حقيقة" يؤمن بها طرف معيّن فإنّ قوله تعالى "لا يفلح الظالمون" في الآية المذكورة العمل اللغويّ فيها هو النفي، نفي الخطاب الذي جاء يقيم "الحقيقة" المشار إليها وإثبات عكسها الذي هو المفهوم من النفي وهذا النفي هو تحديدا –في الآية المذكورة- نفي سجالي négation polémique غايته هنا التكذيب الذي هو حسب الأستاذ شكري المبخوت "وظيفة النّفي الأساسيّة"[76].

لقد أبرز ابن عاشور المفهوم من النّفي في الآية محلّ النّظر بقوله مفسّرا إيّاها بمفهوم المخالفة فيها : "أي ستكون عقبى الدّار للمسلمين لا لكم"[77].

وغير بعيد عن هذا التناول أسّس ديكرو نظرية السلالم الحجاجية مخصّصا لعامل النفي نصيب الأسد في تحديد وجهة الخطاب الحجاجية معتبرا إيّاه أدقّ العوامل في تحديد منزلة الملفوظ من السلم الحجاجي وقد خصّص للنفي حيّزا من كتابه "السلالم الحجاجية"[78] منطلقا من مثالين طالما وقف عندهما وهما[79] :

1- لم يقرأ زيد جميع روايات بلزاك.

---

[76]- شكري المبخوت: عمل النّفي وخصائصه في العربية، أطروحة دكتوراه دولة، مرقونة بقاعة أطروحات كلية الآداب منبوبة، ص 172.

[77]- ابن عاشور: تفسير التّحرير والتّنوير، ص 93، ج 8، دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997.

[78]- Ducrot (O) : Les échelles argumentatives, p 17, (éd), Minuit, 1980.

[79]- Ducrot (O) : Les échelles argumentatives, p 17, (éd) Minuit, 1980, les exemples sont :

- Il n'a pas lu tous les romans de Balzac
- Il a lu quelques romans de Balzac.

2- قرأ زيد بعض روايات بلزاك.

ويعلّق ديكرو على المثالين مصرّحا بأطروحته قائلا "إنّ أطروحتنا... أنّ المثال الأوّل موجّه نحو نتيجة سالبة من صنف أنّ زيدا لا يعرف بلزاك جيّدا في حين أنّ المثال الثاني عكس ذلك، حسب رأيي، إذ أنّه موجّه نحو نتيجة إيجابية من صنف أنّ زيدا يعرف بلزاك"[80].

إنّ عاملية النفي الحجاجية حينئذ لا يمكن إدراكها إلاّ بإدراك النتيجة التي يريد الباث توجيه[81] جمهوره إليها لذلك كان ديكرو في معرض حديثه عن النفي يركن دائما إلى رائز المفهوم وهو "لماذا قال المتكلّم ما قال؟" وذلك من أجل أن يُحدّد للملفوظ درجته الحقيقية من السلم الحجاجي رغم أنّه يقول "إنّ كلّ تلفّظ له وظيفة حجاجية... ويرنو إلى توجيه المتقبّل نحو نتيجة محدّدة"[82] والنفي فيما نرى تلفّظ على تلفّظ فهو توجيه على توجيه لذلك بمجرّد إدماج عامل النفي تتحدّد النتيجة "ن" بسرعة ولا يجد المتقبّل حرجًا أو كدّ ذهن في إدراك المفهوم بل إنّ عامل النفي كمفهوم علاوة على وظيفته

---

[80]- م. ن. ص 7.

Ma thèse était, que de premier est nécessairement orienté vers une conclusion négative du type la personne en question connaît mal Balzac, le second est au contraire, selon moi, orienté vers une conclusion positive du type la personne en question connaît Balzac".

[81]- يمكن فهم التوجيه على أنّه مقتضى الاستئناف الذي يشترطه النفي بناء على قول الأستاذ المبخوت في أطروحته "إنّ النفي عندنا يشترط إطارا تخاطبيا يكون فيه استئنافا للكلام لا ابتداء" وإن كان التوجيه ملازما حتى للجملة الابتدائية المنفية.

[82]- Ducrot (O) : Les échelles argumentatives, p 15, (éd.) minuit, 1980.

التوجيهية في الخطاب الحجاجي فإنّ له قيمة مضافة وهي على حدّ عبارة ديكرو "أنّه ضروري لوصف البنية الدلالية العميقة للملفوظ الذي يبدو غير منفي"[83].

ورغم صرامة عامل النفي في تحديد درجة الملفوظ من السلم الحجاجي فإنّه يبقى ثمّة جانب من المفهوم يتدخّل فيه المقام. كما سنرى في ما سيأتي من العمل.

لقد عالج الأستاذ المبخوت مبحث تقسيم النفي مستندا إلى تقسيم ديكرو الثلاثي للنّفي وهو نفي وصفي (يمسّ أحد عناصر الجملة) ونفي ميتالغوي ونفي جدالي، (يمسّان كلّ الجملة) وبناء على تفريعات وتعريفات[84] الأستاذ المنجوت الثلاثة لضروب النفي نلاحظ هيمنة عنصر الاستعمال والإنجاز

---

[83]- Car la notion de négation est nécessaire pour décrire la structure sémantique profonde d'énoncés superficiellement non négatifs (Les échelles argumentatives : p 46 - 47).

كلام ديكرو هذا قد يتعارض نسبيا مع ما يقوله ماير عند ما يعرف النفي قائلا :

« La négation est donc un signe propositionnel et non signe de la réalité » (Meyer Michel : logique, langage, et argumentation, Hachette, 1983, p 60).

[84]- المبخوت (شكري): يعرّف الأستاذ المبخوت في أطروحته ضروب النفي الثلاثة بالصفحة 205 كالآتي :

أ- النفي الوصفي : وهو النفي الذي يكون تمثيلا لحالة الأشياء في الكون دون أن يقدّمه قائلة على أنّه يعارض قولا آخر.

ب- النفي الجدالي : هو النفي الذي يعارض به المتكلّم رأيا معاكسا لرأيه صاغه المخاطب صياغة إثباتية.

ج- النفي الميتالغوي : هو قول منفي يهاجم متكلّما له خاصيتان : يبطل المقتضيات... وإعلاء الصفة.

المرتبط بالمقام في مستوى تصنيف النفي ممّا دعاه إلى القول "لا يستند تصنيف ديكرو إلى خصائص إعرابية دلالية وإنّما هو تصنيف يلحّ على استعمالات ممكنة للنفي سواء استعمل لتمثيل الكون (وصفي) أو لردّ قول سابق منجز أو مفترض (جدالي، ميتالغوي).

غير أنّه مهما تكن نجاعة هذه التصنيفات للنفي فإنّها إجمالا تفيد معنى واحدًا هو معنى الإكذاب والتكذيب الذي هو صلب عملية التوجيه وإن كانت عملية التوجيه هذه حاضرة في جميع ضروبه فهي أوضح ،مثلا، في النّفي الجدالي لأنّ عملية التبئير Focalisation فيه أكثر وضوحا فهي واقعة في مستوى الردّ على الرأي المعاكس الذي صاغه المتقبّل صياغة إثباتية تتعارض مع الصياغة المنفية وهنا يفهم الحجاج بشكل جليّ على أنّه طلب لتسليم الجمهور وضمان أدائه لعمل معيّن و"الحمل على الإتيان بأفعال جديدة أو على الأقلّ تغيير المواقف والأحكام والمشاعر"[85].

على أنّ النفي قد يكون لغير التكذيب والإكذاب فليس هو إذن ردّا على الرأي المعاكس الذي صاغه المتقبّل صياغة إثباتية. من ذلك ورود الشيء منفيا نفيا مقيّدا والمراد نفيه مطلقا فقد ذكر الزركشيّ - وهو أصوليّ- في كتاب البرهان في علوم القرآن من باب النفي أنّ "من النفي نفي الشيء مقيّدا والمراد نفيه مطلقا وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النفي وتأكيده

---

[85]- Tamine (J.C) : La stylistique : Armand Colin, 1992, p 143, (Argumenter c'est proposer ou confronter des valeurs auxquelles on croit... et que si elles entraînent l'adhésion de l'auditoire pourront le conduire à des actions nouvelles ou tout au moins à des changements d'attitude des jugements ou des sentiments.

كقولهم : فلان لا يرجى خيره، ليس المراد أنّ فيه خيرا لا يرجى، غرضهم أنّه لا خير فيه على وجه من الوجوه (...) ومثله قوله تعالى "ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع"[86] ليس المراد نفي الشفيع بقيد الطاعة بل نفيه مطلقا [إذ هم لا شفيع لهم مطاع ولا غير مطاع]"[87].

غير أنّ النفي قد ينشأ عنه مفهوم مخالفة في غير سياق التكذيب والإكذاب أو الردّ على الخصم وتبكيته وإنّما يكون ذلك المفهوم الذي تؤدّي إليه بنية النفي من قبيل الأحكام المستفادة على وجه الاستلزام من الكلام المنفيّ المقيّد بصفة أو ما في معناها فقد قال الزركشيّ في التعليق على الآية السابقة التي نفي فيها الشفيع مقيّدا "فكان نفي الشفيع المطاع تنبيها على حصوله لأضدادهم كقولك لمن يناظر شخصا ذا صديق نافع: لقد حدّثت صديقا نافعا وإنّما تريد التنويه بما حصل لغيره لأنّ له صديقا ولم ينفع"[88].

إنّ النفي إذا دخل بالخصوص على صفة تقيّد الكلام أدّى إلى ظهور المفهوم سواء قدّرنا للكلام مقاما أو لم نقدّر له على أن يكون ذلك المفهوم واحدا في كلّ الحالات ويمكن للنماذج التالية بيان ذلك.

- ليس على المريض حرج ← غيره (أي الصحيح) حرجه غير مرفوع
- لا ينجح المتكاسلون ← ينجح المجتهدون
- لا يسقط المجتهدون ← غيرهم (الكسالى) يسقطون

---

[86]- سورة غافر، الآية 18.

[87]- الزركشي (بدر الدين): البرهان في علوم القرآن. دار المعرفة بيروت، د ت، ج 3، ص 396 - 397.

[88]- المرجع السابق، ص 397.

وهو ما يكثر في خطابات التعريض (Insinuation)[89] عادة.

I.2- عاملية أدوات القصر والاستثناء:

I.2.1- عاملية "إنّما" + "ضمير الفصل" + "الـ الموصولة":

هي أم طرق القصر وهي بعبارة النحاة القدامى متمحّضة له وحكر عليه خصّها الجرجاني في الدلائل بالذكر أكثر من مرّة إذ يقول "اعلم أنّها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره فإذا قلت إنّما جاءني زيد عقل منه أنّك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمر"[90] ولو أخضعنا هذه الجملة لمقولة التوجيه في الحجاج مع ديكرو للاحظنا كيف أنّ "إنّما" بإدخالها على النواة وجّهت الملفوظ نحو نتيجة محدّدة ضيّقة فالجائي كما قال الجرجاني ليس إلاّ زيد وهذه هي النتيجة التي يروم الباث إيصالها للمتقبّل الذي يتوهّم أنّ الذي جاء قد يكون عمرا أو صالحا لذلك قال الجرجاني "فإذا قلت إنّما جاءني زيد لم يكن غرضك أن تنفي أن يكون قد جاء مع زيد غيره ولكن أن تنفي أن يكون المجيء الذي كان منه كان من عمرو وكذلك تكون الشبهة مرتفعة في أن لي ههنا جائيين وإن ليس إلاّ جاء واحد"[91]. وهذا ما قصده تقريبا السكّاكي عندما قال "وكذلك قدّر "إنّما هذا لك" تقدير "ما هذا إلاّ لك" و"إنّما لك هذا"

---

[89]- انظر كتاب أوريكيوني "الضمني" l'implicite الذي اعتبرت فيه التعريض قسما من أقسام المفهوم.

[90]- الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا، بيروت لبنان، د. ت، ص 258.

[91]- المرجع نفسه، ص 259.

تقدير "ما لك إلاّ هذا""[92] فقوله تعالى "إنّما نحن مصلحون"[93] وهذا كلام على لسان بني إسرائيل له نتيجة واحدة لا ثانية لها من جهة البنية اللغوية التي ورد عليها الكلام وهي إنّنا لسنا مفسدين وممّا قاله ابن عاشور في تفسيرها "أفادت إنّما قصر الموصوف على الصفة ردّا على قول من قال لهم لا تفسدوا لأنّ القائل أثبت لهم وصف الفساد إمّا باعتقاد أنّهم ليسوا من الصلاح في شيء أو باعتقاد أنّهم خلطوا عملا صالحا وفاسدا فردّوا عليهم بقصر القلب وليس هو قصرا حقيقيّا لأنّ قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقيّا ولأنّ حرف "إنّما" يختصّ بقصر القلب كما في دلائل الإعجاز واختير في كلامهم حرف "إنّما" لأنّه يخاطب به مخاطبا مصرّا على الخطأ كما في دلائل الإعجاز وجعلت جملة القصر اسمية لتفيد أنّهم جعلوا اتّصافهم بالإصلاح أمرا ثابتا دائما إذ من خصوصيات الجملة الاسمية إفادة الدوام"[94]

ولقد وردت "إنّما" في الآية المذكورة في سياق حجاجيّ بعد قول من قال من المؤمنين لبني إسرائيل "لا تفسدوا في الأرض" فما كان من بني إسرائيل إلاّ أن ردّوا بقلب رأي خصومهم وما كان هذا القلب ليعبّر عنه بغير "إنّما" لهذا قال عنها ابن عاشور "أفادت قصر الموصوف على الصفة ردّا على قول من قال لهم لا تفسدوا". وهذا تقريبا ما أشار إليه السكّاكي عندما تعرّض لـ "إنّما" المرادفة في معناها للتركيب "ما... إلاّ" إذ يقول "كما تقول في قصر الموصوف

---

[92]- السكّاكي (أبو يعقوب): مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، ط 1، 1983، ص 300، بيروت - لبنان.

[93]- سورة البقرة، الآية 11.

[94]- ابن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997، مج 1، ص 283.

على الصفة قصر إفراد إنّما زيد جاء إنّما يجيء زيد لمن يردّده بين المجيء والذهاب من غير ترجيح لأحدهما أو قصر قلب لمن يقول زيد ذاهب لا جاء وفي تخصيص الصفة بالموصوف أفرادا إنّما يجيء زيد لمن يردّد المجيء بين زيد وعمرو أو يراه منهما وقلبا لمن يقول لا يجيء زيد ويضيف إليه الذهاب والسبب في إفادة إنّما معنى القصر هو تضمينه معنى "ما وإلاّ" ولذلك تسمع المفسّرين لقوله تعالى "إنّما حرّم عليكم الميتة والدم" بالنصب يقولون معناه ما حرم عليكم إلاّ الميتة والدم"[95].

إنّ الصرفم "إنّما" إذ دخل على الجملة "نحن مصلحون" جعلت الجملة جملتين وهما :

1- نحن مصلحون

2- لسنا مفسدين كما تدّعون

وهو ما يجعل الكلام ذا طابع حجاجيّ واضح في حين أنّ غياب إنّما يجعله لمجرّد الإبلاغ والإعلام وتكتفي اللغة بوظيفتها الإعلامية la fonction informative لا تتعدّاها إلى الحجاجية l'argumentativité فبغياب هذه الصرافم "العوامل الحجاجية" يكون الكلام حينئذ وصفا لما عليه الأشياء في الكون "نحن مصلحون" وليس عملا قوليا مفيدا معنى نقلب رأيكم، أو ننفي أطروحتكم أو ندحض ما تدّعون... ولهذا أسمى ابن عاشور القصر في هذه الآية قصر قلب.

---

[95]- السكّاكي (أبو يعقوب) : مفتاح العلوم، ص 291، تح. نعيم زرزور، ط 1، 1983، بيروت - لبنان.

لقد حصرت طائفة من الأصوليين دلالة المفهوم من "إنّما" في أنّه بخلاف المنطوق ولهذا قال الشريف المرتضى "وبدخول لفظة "إنّما" يعلم أنّ ما عداه بخلافه لأنّ القائل إذا قال: (إنّما لك عندي درهم) يُفهم من قوله (ليس لك سواه) وعلى هذا الوجه تعلّق ابن عبّاس - رحمهما الله- في نفي الربا عن غير النسيئة لقوله عليه السلام: (إنّما الربا في النسيئة)"[96].

وعلى هذا النحو فهم الجرجاني تقريبا معنى "إنّما" في ما سبق من كلامه الذي أوردناه غير أنّ الجرجاني نفسه يرى لـ"إنّما" مفهوما آخر غير مفهوم القلب أو الخلاف الذي حصر فيه الأصوليون الدلالة الضمنيّة في الملفوظ الذي دخلت عليه "إنّما". وهذا المفهوم لا يجهله المخاطب ولا يقول بعكسه وإنّما أنت تدخل لفظ "إنّما" على كلامك لإثارة مفهوم آخر غير مفهوم العكس أو المخالفة. يقول الجرجاني "اعلم أنّ موضوع "إنّما" على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحّته أو لما ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك أنّك تقول للرجل إنّما هو أخوك إنّما هو صاحبك القديم لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحّته ولكن لما يعلمه ويقرّ به إلاّ أنّك تريد أن تنبّهه للذي يجب عليه من حقّ الأخ وحرمة الصاحب"[97] لكنّ "إنّما" هذه ربّما كان المفهوم منها رهين المقام كما سنرى في لاحق. أمّا "إنّما" التي نحن منها بسبيل هنا فهي التي جعلها السكّاكي مرادفة لـ"ما... إلاّ" حين قال: "وإذا عرفت هذا في النفي

---

[96]- مصطفى (جمال الدين): البحث النحويّ عند الأصوليّين، طبعة الجمهورية العراقية، 1980، ص 287.

[97]- الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا، بيروت، لبنان، دت، ص 254.

والاستثناء فاعرفه بعينه من إنّما لا تصنع شيئا غير ما أذكره لك وأمض في الحكم غير مدافع، نزّل القيد الأخير من الكلام الواقع بعد إنّما منزلة المستثنى. فقدر نحو إنّما يضرب زيد تقدير ما يضرب إلاّ زيد ونحو إنّما يضرب زيد عمرا يوم الجمعة تقدير ما يضرب زيد عمرا إلاّ يوم الجمعة ونحو إنّما يضرب زيد عمرا يوم الجمعة في السوق تقدير ما يضرب زيد عمرا يوم الجمعة إلاّ في السوق وكذلك إذا قلت إنّما زيد يضرب فقدّره تقدير ما زيد إلاّ يضرب"[98]. إنّ المفهوم من أمثلة السكّاكي هذه هو مثلا "لا يَضرب زيد عمرا يوم الخميس" و"لا يضرب زيد عمرا يوم الجمعة في المسجد" إلخ...

غير أنّ مفهوم المخالفة الناجم عن بنية القصر إذ تفيده "إنّما" على المشهور يفيده كذلك ضمير الفصل نحو قولنا:

- عليّ هو الذكيّ
- الله هو المستعان

فالمفهوم الذي يقود إليه الملفوظ في كلا المثالين وقد اشتمل على ضمير الفصل أو العماد هو "غير عليّ ليس ذكيّا" و"لا يستعان بغير الله" على أنّه لو جاء القولان عاريين من العامل الحجاجيّ "هو" في قولنا على سبيل المثال:

- عليّ ذكيّ
- الله مستعان

لتعدّدت المفاهيم الناجمة عن كلّ منهما ولفقد الملفوظ بذلك بعده الحجاجيّ ودخل في زمرة الملافيظ الإبلاغية بحيث يصبح مجرّد وصف للكون

---

[98]- السكّاكي (أبو يعقوب): مفتاح العلوم، ص 299 - 300، تح. نعيم زرزور، ط 1، 1983، بيروت - لبنان.

على أنّ مفهوم المخالفة في كلا المثالين يمكن أن تؤدّي إليه "الـ الموصولة" وهي التي كما يقول السيوطي "بمعنى الذي إذا اتّصلت باسم الفاعل أو اسم المفعول"[99] إلاّ أنّها قد تتّصل بالصفة مطلقا أو بالفعل لقول ابن مالك:

وصفة صريحة صلة الـ ∴ وكونها بمعرب الأفعال قل[100]

وعليه فقولنا:

- عليّ الذكيّ
- الله المستعان

مفض إلى مفهوم مخالفة من قبيل ما كنّا منه بسبيل وهو "غير عليّ ليس ذكيّا" و"غير الله لا يطلب عونه" وهذا هو المعنى الذي يذهب إليه بعض المفسّرين في قوله تعالى "ذلك الكتاب"[101] قال ابن عاشور "ويجوز أن يكون الكتاب خبرا عن اسم الإشارة (...) فتفيد الجملة قصر حقيقة الكتاب على القرآن بسبب تعريف الجزأين فهو إذن قصر ادّعائيّ ومعناه ذلك هو الكتاب الجامع لصفات الكمال في جنس الكتب بناء على أنّ غيره من الكتب إذا نسبت إليه كانت كالمفقود منها وصف الكتاب لعدم استكمالها جميع كمالات الكتب".[102]

---

[99]- السيوطي (جلال الدين): الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، د ت، ج 2، ص 58.

[100]- انظر شرح ابن عقيل، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، ج 1، ص 155 وما بعدها.

[101]- سورة البقرة، الآية 2.

[102]- ابن عاشور (محمد الطاهر): التحرير والتنوير، ج 1، ص 221، مذكور.

2.2.I- عاملية إن / ما / ليس..... إلاّ:

هذا ضرب ثان من الصرافم المحقّقة للعاملية الحجاجية وهو ضرب خاص لأنّه يتركّب من صرفمين الأوّل يفيد النفي والثاني يفيد الاستثناء. ولقد أجمع النحاة وأهل المعاني أنّ هذا الضرب من الصرافم يفيد معنى "إنّما" وقد صرّح بذلك الجرجاني في الدلائل عندما اعتبر أنّ جملة "إنّما هو درهم" مساوية لجملة "إن هو إلاّ درهم".

إنّ الملفوظ الذي يقوم على الصرفمين [إن... إلاّ]، والملفوظ الذي لا يحتوي على هذين الصرفمين غير متساويين لذلك قال الجرجاني "وأمّا الخبر بالنفي والإثبات نحو ما هذا إلاّ كذا وإن هو إلاّ كذا فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشكّ فيه فإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت ماهو إلاّ زيد لم تقله إلاّ وصاحبك يتوهّم أنّه ليس زيدا وأنّه إنسان آخر ويجدّ في الإنكار أن يكون زيدا"[103] وعليه عالج الجرجاني قوله تعالى "إن أنتم إلاّ بشر مثلنا تريدون أن تصدّونا عمّا كان يعبد آباؤنا "التي قال فيها" إنّما جاء، والله اعلم، بـ إن وإلاّ دون إنّما فلم يقل إنّما أنتم بشر مثلنا لأنّهم جعلوا الرسل كأنّهم بادّعائهم النبوّة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم وادّعوا أمرا لا يجوز أن يكون لمن هو بشر ولّما كان الأمر كذلك أخرج اللفظ مخرجه حيث يراد إثبات أمر يدفعه المخاطب ويدّعي خلافه"[104].

---

[103]- الجرجاني (عبد القاهر) : دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا، بيروت- لبنان، د. ت، ص 256.

[104]- المرجع نفسه : ص 256.

إنّ دخول صرافم من قبيل "ما... إلاّ" أو "إن هو... إلاّ" أو "ليس... إلاّ" على ملفوظ مثل "زيد كاتب" من شأنها أن تخرجه من الإبلاغية l'informativité أي من مستوى الوصف والإبلاغ إلى الحجاجية حيث تكون العوامل المذكورة موجّهة لبقية الخطاب نحو نتيجة بعينها وهذه النتيجة أو الاستلزام أو المفهوم واحد في جميع الحالات.

◆ **في غياب العوامل: تعدّد الاسترسالات (الاستلزامات أو المفاهيم):**

أ- زيد كاتب وليس شاعرا.

ب- زيد كاتب فاتّصل به ليكتب لك الرسالة.

ج- زيد كاتب ولكنّه شاعر أيضا.

د- زيد كاتب إذن فهو قادر على فهم أبعاد هذه القصّة... إلخ.

◆ **في صورة إدماج العامل في الملفوظ:**

- ما زيد إلاّ كاتب
- ليس زيد إلاّ كاتبا

أ- وليس شاعرا.

ب- فاتّصل به ليكتب لك رسالة*.

ج- ولكنّه شاعر أيضا*.

د- فهو قادر على فهم أبعاد القصّة*.

لو أجملنا القول في تعريف العامل في هذا المقام الأوّل من البحث لقلنا إنّ العامل الحجاجي عنصر لساني يصدق عليه تعريف الصرفم له وظيفة الحدّ من غموض الملفوظ ومن تعدّد نتائجه وذلك بتقديم النتيجة الملائمة للمتقبّل وبالقضاء على كلّ استلزام لا يعضد النتيجة "ن" وآلية ذلك إنّما هو التوجيه

---

*- تفيد العلامة ❖ أنّ القول لاحن وغالط حجاجيا. ويبدو اللّحن أظهر في (ج) أكثر منه في (ب) و (د).

الحجاجي لتكون النتيجة واحدة وبذلك يكون هذا التوجيه بمثابة الاختزال فهذه العوامل التي غالبا ما تكون في شكل صرافم هي التي تغيّر قسم الحجج المرتبطة بالجملة المنشدة إلى الملفوظ إذ تجعل المتقبّل ينصرف إلى نتيجة بعينها غير واقع في الاستلزامات اللاحنة حجاجيا ومن هنا تظهر قيمة العامل في الحدّ من الغموض وتخصيص المفهوم وتحديده لذلك قال أنسكومبر في حديثه عن عامل النفي وهو يصدق على كلّ العوامل الحجاجية "إنّ له وظيفة تحويل / تبديل القدرة الحجاجية للملفوظ الأصلي"[105]. ومن هنا يمكن أن نعتبر أنّ تفطّن ديكرو وأنسكومبر لمفهوم العامل الحجاجي ودوره المركزي في التوجيه والربط بين الضمني والصريح والقضاء على تعدّد النتائج والاستلزامات... هو الذي جعل الباحثين في كلّ ما كتبا تقريبا ينعتان اللغة بكونها مؤسّسة على الحجاج[106] وهذه القيمة الحجاجية ما هي إلاّ توجيه محض[107].

غير أنّنا لو عوّضنا "ما... إلاّ" و"ليس... إلاّ" بأداة "إنّما" في الاسترسالات "أ، ب، د" تحديدا لصحّت المعاني في هذه الاسترسالات وذلك على النحو التالي:

---

[105]- Anscombre (J.C) : Dynamique du sens et scalarité, p 134, colloque de Cerisy, 1987.

[106]- السبب في هذا الطرح هو طريقة التناول إذ أنّ أبحاث الرجلين تندرج ضمن التداولية المندمجة التي ترى روث أموسى أنّها، التداولية المندمجة، تعتبر أنّ الحجاج يشقّ كلّ الخطابات

« La pragmatique intégrée considère que l'argumentation travers l'ensemble des discours » (Amossy (Rooth) : Op. cit, p 25).

[107]- Meyer (Michel) : Logique, Langage, et Argumentation, éd. Machette, p 132, 1982.

أ- إنّما زيد كاتب وليس شاعرًا.

ب- إنّما زيد كاتب فاتّصل به ليكتب لك الرسالة.

د- إنّما زيد كاتب وإذن فهو قادر على فهم أبعاد القصّة.

ذلك أنّ "إنّما" هنا ليست بمعنى "ليس... إلاّ" فهي من النوع الذي قال عنه الجرجاني أنّه لا يفيد عكس رأي المخاطب بل تنبيه المخاطب إلى ما يجب عليه فالنموذج السابق - حينئذ- وما شابهه من الملافيظ الخالية من الصرفم [ما / إن / لا / ليس... إلاّ] والقائمة علية ليصدق عليها قول جاكبسون، وإن كان من زاوية نظر أخرى، إذ يقول "إنّ كلّ تغيير في المقولات النحوية وبالتالي في الأبنية اللغوية هو تغيير حامل لمعلومات دلالية[108]. فالتغيير في المقولات النحوية هو لبّ عملية التوجيه التي تكون بالعوامل الحجاجية. والمعلومات الدلالية Les informations sémantiques هي في اعتبارنا المفهوم أو النتيجة.

ويمكن للمثال التالي توضيح الأمر بصيغة أخرى:

- "ق1" : هذا ملك.
- "ق2" : "إنْ هذا إلاّ ملك كريم"[109].

إنّ الملفوظ الأوّل "ق1" كما هو بيّن خال من كلّ عامل حجاجي ومن كلّ صرفم تصدق عليه وظيفة العامل الحجاجي فهو قائم على الإثبات المحض

---

[108]- Jakobson (Roman) : Essais de linguistique générale ; traduit et préfacé par ; Nécolas Ruwet, tome 1, p 202, (éd.) Minuit, 1963.

[109]- المثال مأخوذ من سورة يوسف وتحديدا الآية 31.

الذي لا يتجاوز طاقته الإخباريّة الإبلاغية مداها الإعلامي التوصيلي الصرف فهو الدرجة الصفر للخطاب حيث أنّ الباث لا يروم من ملفوظه سوى إعلام المتقبّل بأنّ المشار إليه "ملك" والطريف في الأمر أنّ هذا الإبلاغ له استلزامات عديدة فما دام من الملائكة فهو يحتوي على صفات "الملائكية" كأن نقول هو تقي نقي، مفارق، شريف، صادق لا يرتكب الكبائر، وما قلنا هذا إلاّ لاعتبار أنّ اللّغة بجميع مستوياتها تقوم على الحجاج حتّى أنّ ديكرو يعتبر أنّ الحجاج في الملفوظ بأكمله يعود لطاقة المفردة الحجاجية بما تحمله من استلزامات واقتضاءات ومعان حافّة، أمّا الملفوظ الثاني "ق2" وهو أرقى حجاجيا، فإنّ الباث، فيه قد استعان بعاملية الحصر لشدّ من أزر الملفوظ وتحديد النتيجة المقصودة منه وبالتالي يكون الجمهور أمام نتيجة واحدة أو استلزام واحد يقتضيه الملفوظ ويروم الباث تسليم الجمهور به. والعاملان الحجاجيان اللذان هما الصفة والحصر في ملفوظنا يضيّقان من تعدّد النتائج المستفادة من الملفوظ بل إنّهما يضربان صفحا عن الطاقة الإبلاغية ويجعلان المتقبّل مباشرة في مواجهة حجاجية وأمام نتيجة واحدة وهي أنّ هذا المتحدّث ليس بشرا كما جاء في الجملة السابقة لها في الآية "ما هذا بشرا" فهو لا يَمِتُّ للبشرية بشيء. "لغرابة جماله ومباعدة حسنه... لما عليه محاسن الصورة، أثبتن له الملكية ويتَتْنَ بها الحكم"[110] وعدم قذفِهِ بالتهم وما مِن شأنه أن ينقص قدره العظيم[111].

---

[110]- الزمخشري (أبو القاسم): حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج II، 1948، ص 135.

[111]- قطب (سيد) : في ظلال القرآن، دار الشروق، ج2، 1988، ص 1984.

إنّ للعامل "إنْ... إلاّ" إذنْ طاقة توجيهية نحو المفهوم أو النتيجة وما التوجيه إلاّ حركة قصيرة يسيرة يقطعها جهاز التقبّل لدى الجمهور للوصول إلى الاستلزام المطلوب ضاربا عرض الحائط بكلّ الاستلزامات الأخرى التي قد تصلح للملفوظ فقولنا "إنْ هذا إلاّ ملك كريم" موجّه نحو كونه ليس بشرا وهذا المعنى قد سبق ذكره في الآية نفسها "ما هذا بشرا إنْ هذا إلاّ ملك كريم".

إنّ هذا الطرح قد نتج عنه كما قلنا آنفا إعادة دراسة لوظائف اللغة[112] دراسة جذرية حدّ الوقوع في القطيعة الأبستمولوجية ونعني بذلك تقديم ديكرو وأنسكومبر الوظيفة الحجاجية على الوظيفة الإبلاغية في اللغة وبديهي منذ أرسطو أنّ كلّ دارس تعرّض لدراسة وظائف اللغة قدّم الوظيفة الإبلاغية[113] على الحجاجية ليأتي ديكرو فيقدّم على هذه الوظيفة الإبلاغية الوظيفةَ الحجاجيةَ، وقد كان كلامه كلّه مبنيا على هذا الافتراض العلمي وهو أنّ اللغة في جوهرها حجاجٌ إذ البنية الحجاجية سابقة للمضمون أو المحتوى الإبلاغي ولذلك كَانَ التسلسل والترابط في الخطاب قائما على الرهان الحجاجي وليس على القيمة الإبلاغية وهذا ما أشار إليه ديكرو في بداية كتابه القول والمقول[114]:

---

[112]- حسب ديكرو الانزياح l'écart من الوظيفة الحجاجية إلى الابلاغية في اللغة أكثر منه انزياح من الوظيفة الحجاجية من الإيلاغية وإن استعمل هو كلمة اشتقاق Dérivation، انظر على سبيل المثال (الحجاج في اللغة، السلالم الحجاجية، وبداية كتابه القول والمقول...).

[113]- فقصد بالوظيفة الإبلاغية تقريبا ما يقصده ريبول وموشلار في معجمهما الذي نعتمد عليه وهو ما تقوله اللغة عن العالم.

[114]- انظر مثلا :

Ducrot (O) : Le dire et le dit, p31 (éd), Minuit, 1984.

إنّ الاختلاف بين الجملة الحاملة لعامل حجاجي والجملة غير الحاملة لعامل حجاجي، بيّن في درجة السلم الحجاجي ولأجل هذا كان من وظيفة العوامل، علاوة على التوجيه، التضييق من مدى الغموض وتعدّد المعاني والاستلزامات التي تقع محاصرتها والحدّ منها عبر العوامل بأن يوجّه إليها المتقبّل لذلك ولئن لم يقف عندها "ماير" وقوف المختصّ فإنّه قد تفطّن إليها إذ يقول "يوجد في المعنى الحرفي للجملة شارات حجاجية تُظهر الضمني من السياق في سبيل الوصول إلى النتيجة"[115] إذ الحجاج عند ماير إنّما هو دراسة العلاقة بين الصريح والضمني[116].

يؤدّي بنا هذا إلى أمرين : الأوّل أنّ "إنّما" عامل حجاجي ذو دور مزدوج في إنشاء المفهوم والإيصال إلى النتيجة الضمنيّة فهذا المفهوم يكون مرّة أحاديّا على طريقة الأصوليّين في تحديده فهو مفهوم مخالفة ومرّة ليس مفهوم مخالفة كما ذهب إلى ذلك الجرجاني بحيث يمكن أن نقول إنّ عبد القاهر قد تعامل بمرونة أكثر في ضبط مدى حجاجية "إنّما" (قارن بين دراسته لمثال إنّما جاء زيد ومثال إنّما هو أخوك وإنّما هو صاحبك القديم في ما سبق من كلامنا) وذلك عندما يعتبرها مرّة مرادفة لـ "ما... إلاّ" و"ليس... إلاّ" ومرّة غير مرادفة لهما.

---

[115]- Meyer (Michel) : Logique, Langage et Argumentation, p 113, (éd.) Machette, 1982.

[116]- في نفس المصنّف يقول ماير بالصفحة 112 :

"L'argumentation est l'étude du rapport entre l'explicite et l'implicite"

والأمر الثاني أنّ جميع الصرافم المذكورة، وغيرها كثير، إذ تستخدم عوامل حجاجية في الخطاب توجّه ذلك الخطاب وجهة حجاجية صارمة قاضية على تعدّد الاستلزامات مفضية إلى قسم واحد من النتائج باستثناء "إنّما" فهي ربّما أدّت إلى تعدّد المفاهيم والاستلزامات كما سنرى في القسم الموالي لهذا الفصل.

II- العامل الحجاجي وتعدّد المفاهيم أو الاستلزامات: دور المقام:

II.1- المفهوم والمقام:

يتميّز المفهوم التخاطبي عند ديكرو بتعدّده وذلك لارتباطه بالمقامات التي ينشأ عنها لكن قبل الخوض في مسألة المفهوم عند ديكرو وجب التذكير بثلاث نقاط مركزية من شأنها أن تنير لنا السبيل في فهم الرجل للمفهوم.

1/ أولى هذه النقاط هي الأساس الأبستمولوجي الذي يشتغل عليه الرجل وقد أفصح عنه في جلّ ما كتب تقريبا وخاصّة في بدايات "القول والمقول" وذلك عند حديثه عن مستويات الوصف اللساني الذي يلحّ فيه على ضرورة إدماج المقام لضمان سلامة هذا الوصف وقد لخّص هذا المشروع في رسمين هما عماد التداولية المندمجة وهو على شكل Y وإن كانت نظريته في دراسة المفهوم قد اعتمدت على المبادئ الأساسية للتداولية المندمجة واحتفائها بالمقام كمحدّد رئيسي (انظر الرّسمين البيانيين في الهامش)[117].

[117]- Ducrot (O) : Le dire et le dit, (éd.) Minuit, 1984, p 14, p 16.

2/ أمّا ثانية النقاط فهي تقسيم معنى الملفوظ كما أشرنا آنفا إلى ثلاثة أضرب هي المنطوق والمفهوم والمقتضى وفرّق ديكرو بين هذه التجلّيات للمعنى بمعايير وروائز متعدّدة منها اللغوي كلعبة الأزمنة والضمائر ومنها مقامي كتحديده للمفهوم.

3/ والنقطة الثالثة هي الفصل بين المقتضى والمفهوم اللّذين يلحّ ديكرو على ضرورة الوعي بما بينهما من فويريقات وأوّل الفويريقات التي حصرها الباحث على ما جاء في كتابه المذكور آنفا هو "أنّ المقتضى ذو طبيعة لسانية محضة في حين أنّ المفهوم يتداخل فيه العنصر المقالي بالمقامي لإظهاره"[118] بل إنّ العنصر الحاسم في تحديده إنّما هو المقام الذي ليس له سلطان على المقتضى الذي تولّده البنية اللغوية.

كما أنّ من الفروق الرئيسيّة بينهما الرائز الذي به نصل إلى كليهما فالمقتضى نصل إليه برائزين من طبيعة لسانية هما مقولتا النفي La négation، والاستفهام L'interrogation، في حين أنّ المفهوم Le

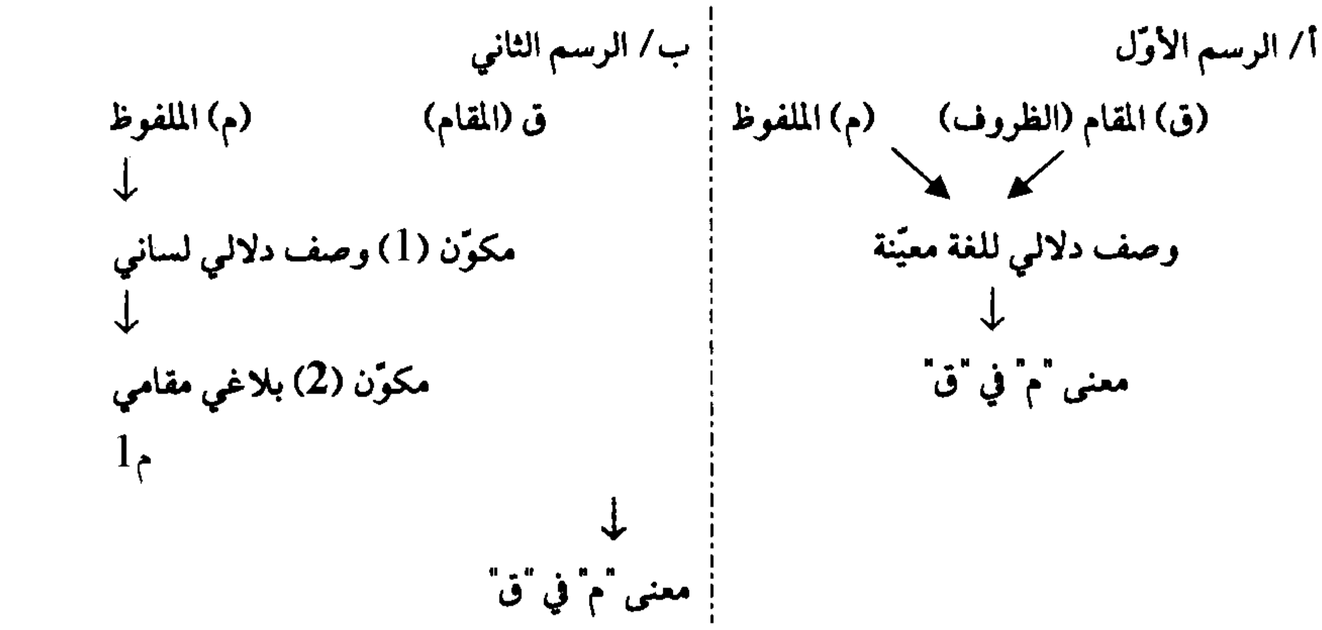

[118]- Ducrot (O) : Le dire et le dit, p 17, (éd.) Minuit ; 1984.

sous-entendu لا صلة له بالبنية اللغوية والتحوير التركيبي لا يكاد يؤثّر فيه ولا نستطيع الوصول إليه إلاّ عبر سؤالين من قبيل "ما الذي حدا بالمتكلّم إلى أن يقول ما قال ؟ أو ما الذي يجعل كلامه مشروعا ؟"[119] ولكن ما لا بدّ من الإشارة إليه كما صرّح بذلك ديكرو أنّه ما من خطاب/ ملفوظ إلاّ ويحتوي على مفهوم بل مفاهيم وكثيرا ما يكون المتقبّل في مقام معيّن محتاجا إلى مفهوم واحد هو بمثابة النتيجة التي تجعله يذعن ويسلّم بالحجّة وهنا نلاحظ مركزية المقام منذ البدء في تحديد صلاحية المفهوم La validité du sous-entendu.

إنّ المقام هو الكفيل بإتمام لبنة المعنى فيه - المفهوم- فهو بالمقابل متروك أمره للمتقبّل يعانيه ويفكّ طلاسمه كيف شاء وهو وحده الذي يتحمّل مسؤولية استنباطه استنباطا اعتمادا على هذا المقام بدرجة أولى ومؤهّلاته وإمكاناته بدرجة ثانية حتى أنّ ديكرو يجد نفسه مجبرا، للفصل بين المفهوم والمقتضى إلى إدماج معيار آخر هو الضمائر إذ المقتضى مصدره "النحن Nous" والمنطوق يحدّده "الأنا Le moi" أمّا المفهوم فليس من مسؤول عنه إلاّ "الأنتَ"[120].

---

[119]- Ducrot (O) : « … Il est toujours engendré comme réponse à des questions de type pourquoi le locuteur a-t-il dit ce qu'il a dit? Qu'est ce que a rendu possible sa parole » (le dire et le dit, 1984, p 34).

[120]- Ducrot (O) : « Par référence au système des pronoms on pourrait dire que le présupposé est présenté comme appartenant à « NOUS » alors que le posé est revendiqué par « JE » et que le sous-entendu est laissé au « TU » » (Op. cit., p 20).

وتمييز آخر بين المقتضى والمفهوم وهو أنّ المقتضى لّما كان قائما في الملفوظ مثل مكوّنا لغويا composant linguistique في حين أنّ المفهوم ينتمي بحكم خضوعه للمقام إلى المكوّن البلاغي composant rhétorique الذي يحدّده المقام[121] بالاستعانة بكفاية المتقبّل الاستدلالية لذلك رأينا ديكرو يقول عن استخراج المفهوم "إنّما يكون ذلك عبر تمش خطابيdémarche discursive وحسب نوع معيّن من الاستدلال"[122] وهكذا يرجعنا ديكرو إلى المقال وخطّته لكي تكون منه البداية في اكتشاف المفهوم بالاستعانة ببعض القوانين المنطقية ولذلك يجب على المتقبّل أن يكون استدلاله مصرّحا به عبر صيغة من الصيغ وهنا يضرب ديكرو مثالا "فإذا قلنا عن فلان إنّه يحب الروايات البوليسية فعلى المتقبّل أن يستنتج بنا على تخصيص الروايات بكونها بوليسية بأنّه يحبّ الروايات الأخرى بدرجة أقل"[123] وهكذا نلاحظ كيف عملت مقولة الصفة "بوليسية" دور التوجيه الحجاجي لتحدّد المفهوم. فالذي دعا إلى قول هذا الملفوظ، "إنّ فلانا يحبّ الروايات البوليسية"، هو أنّ فلانا هذا لا يحبّ الروايات بنفس الدرجة والذي يجعل هذا الملفوظ ممكنا هو حبّه الجمّ للروايات البوليسية. ويكمن الفرق الفاصل بين المقتضى[124] والمفهوم في كون المقتضى مشدودا إلى الملفوظ في حدّ ذاته وإلى بنيته الإعرابية[125] فهو نتاج لعنصر لساني صرف كما سبق القول في

---

[121]- Ducrot (O) : Op. cit., p 20.
[122]- Ducrot (O) : Le dire et le dit, p 21.
[123]- Ducrot (O) : Le dire et le dit, p 23.
[124]- لمزيد التوسّع في المقتضى انظر ديكرو في dire et ne pas dire الذي خصّصه للحديث عن المقتضى بل إنّه خصّص حوالي ستين صفحة لدراسة تاريخية مفهوم المقتضى في مقدّمة الكتاب.
[125]- Ducrot (O) : Le dire et le dit, p 25.

حين أنّ المفهوم هو نتيجة لتقبّل معيّن في ظرف معيّن وله سيرورة في اكتشافه تختلف عن سيرورة اكتشاف المقتضى إذ يتدخّل فيها بعض القوانين المنطقية والنفسية العامّة وعن هذا الفرق الرئيسي نتجت صفة "الماقبلية للمقتضى" L'antériorité du présupposé وما قبليته هذه ناتجة عن طبيعته اللسانية لأنّه معروف سلفا وكشفت عنه البنية اللغوية في حين أنّ المفهوم له صفة المابعدية La postériorité de sous-entendue التي يكمّلها المقام لتأخّره عن اللغة فلا ندركه أي المفهوم إلاّ بعد إدراك ملابسات القول والحيثيات التي حفّت به.

إنّ المفهوم أو النتيجة حينئذ باعتبارها حدث قول يساهم في اكتشافها اجتهاد المتقبّل وإمكاناته مع مراعاة مقتضيات القول في مقام مخصوص، ولولا مقتضيات القول هذه لما كان للملفوظ وظيفة سجالية fonction polémique، لا يمكن بحال حسب ديكرو أن نظفر به إلاّ بالتوسّل بالمكوّن البلاغي Le composant rhétorique. وهذا مظهر من مظاهر تعدّده وغموضه الذي لأجله سيق مفهوم العامل الحجاجي حتى يحدّ منها ويقلّصها. وييسّر السبيل للوصول إلى أصلحها وأنجعها في الخطاب ويغيّب كلّ ما من شأنه أن يكون غموضا متّصلا بوضعيات الخطاب Situation du discours لأنّ التلفّظ في مقام معيّن مساهم في تحقّق حجاجيته التي يمكن أن تمّحي في مقام آخر أو تؤيّد أو تنقص.

إنّ شدّة ارتباط المفهوم بالمقام في نظر ديكرو قد حدا به إلى أن يصوغ له التعريف التالي "أن نصوغ قاعدة من قبيل : إذا قلنا: في لحظة (ل) يكون للشيء (أ) خاصية هي (خ) نجم عن ذلك دائما أنّ لـ(أ) الخاصية (خ) في تلك

اللحظة فحسب"[126] غير أنّ ديكرو يفهم المقام كما هو واضح في تعريفه على أنّه واقع خارج الملفوظ "متجاهلا" دور العامل في وسم المقام في الملفوظ والدلالة عليه والإشارة إليه فالمفاهيم التخاطبية وإن تظلّ دائما متعدّدة لتعدّد المقامات فلأنّ هذه المقامات عادة ما يشتمل عليها الملفوظ ذاته من خلال العامل الحجاجي الوارد فيها وهو ما يدعّم أطروحة ديكرو نفسها في اعتباره اللغة في ذاتها ركح حجاج وساحة حوار.

II.2- المقامات موسومة في الملفوظ بواسطة العامل:

إنّ العامل الحجاجي بقدر مزاياه السابقة المذكورة المتمثّلة في تحديد المفهوم والحدّ من الغموض في الدلالة فإنّ له فضلا غير خفي في كونه يكون في الملفوظ دليلا على مقام التلفّظ. بل إنّ وظيفته هذه يمكن اعتبارها الوظيفة المركز لأنّه على أساسها ووفقها سيتمّ تحديد النتيجة والمفهوم، وقد يكون في الطرح شيء من الغرابة إذ كيف يكون العنصر اللغوي قادحا للمقام. إذ أنّ في أصل الآمر أن يقدح المقامَ المقالُ حتى قيل لكلّ مقام مقال وهذا ليس غريبا إذا أرجعنا الأمر إلى الأسس الابستمولوجية في نظرية الحجاج التي تقول بأسبقية الوظيفة الحجاجية على الوظيفة الإبلاغية وقد تكون هذه القطيعة قد نتج عنها سبق المقال على المقام ودلالة اللفظ على المقام وتحديده ويمكن أن نتبيّن الأمر من الأمثلة التالية. فقولنا "هو أخوك" يمكن أن لا يعدو في أحسن الحالات أن يكون وصفا للكون وللعلاقة الدموية التي تربط المتحدّث عنه بالمخاطب من أنّه أخوه.

---

[126]- Ducrot (O) : Dire et ne pas dire, p 131, éd. Hermann, 1992.

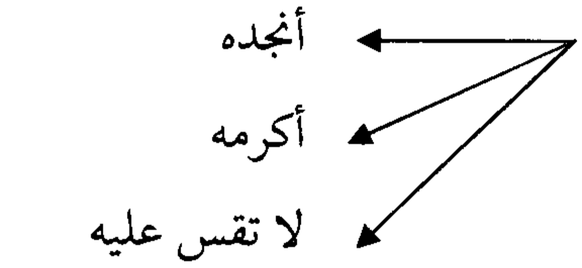

أمّا قولنا "إنّما هو أخوك" ففيه تنهض إنّما كما سنرى - مع السكاكي- بدور المعلم في الملفوظ على المقام (مقام التنبيه والتذكير).

إنّ المثالين السابقين دليل على أنّ الصرفم "إنّما" خاصّة والعوامل الحجاجية عامّة تكون في الكلام دليلا على مقامات عديدة مختلفة ولا يكون الفصل إلاّ عبر المقام المحدود الذي لا يؤيّده إلاّ الموضع للوصول إلى المفهوم المعني وهذا في الأثناء دليل على نجاعة نظرية ديكرو وأنسكومبر من أنّ الوظيفة الحجاجية أسبق من الوظيفة الإبلاغية وذلك أنّ عراء الجملة عن العوامل الحجاجية يجعل الكلام مجرّد وصف للكون ويكتفي الملفوظ بتحقيق الوظيفة الإبلاغية للغة في حين أنّه بدخول العامل الحجاجي على الملفوظ يجعله مؤدّيا إلى استلزامات ما وهذا تقريبا ما أشار إليه السكّاكي عند دراسته لـ"إنّما" مبيّنا بطريقة القدامى دورها في إخراج الكلام مخرجا خاصّا نعبّر عنه في هذا العمل بالتوجيه الحجاجي وذلك عند قوله "وطريق إنّما يسلك مع مخاطب في مقام لا يصرّ على خطئه أو لا يجب عليه أن يصرّ على خطئه، لا نقول إنّما زيد يجيء أو إنّما يجيء زيد إلاّ والسامع متلقّ كلامك بالقبول وكذا لا تقول إنّما الله إله واحد إلاّ ويجب على السامع أن يتلقّاه بالقبول والأصل في إنّما أن تستعمل في حكم لا يعوزك تحقيقه إمّا لأنّه في نفس الأمر جليّ أو لأنّك تدّعيه جليّا فمن الأوّل قوله تعالى إنّما أنت منذر من يخشاها وقوله إنّما يستجيب للذين يسمعون وقوله إنّما يعجل من يخشى صوت وقولك للرجل

الذي ترفقه على أخيه وتنبّهه للذي يجب عليه من صلة الرحم ومن حسن التحفّي إنّما هو أخوك ولصاحب الشرك إنّما الله إله واحد ومن الثاني قول الشاعر:

إنّما مصعب شهاب من الله تَجَلَّتْ بوجهه الظلماءُ

ادّعى أنّ كون مصعب كما ذكر جليّ وإنّه عادة الشعراء يدعون الجلاء في كلّ ما يمدحون به ممدوحيهم"[127]. والمفيد في قول السكّاكي هذا أنّه أقرّ بالدور التوجيهيّ لـ"إنّما" وذلك عند قوله "يجب على السامع أن يتلقّاه بالقبول" وأنّه أقرّ بمقولة المقام ومزية "إنّما" في ذلك وذلك عند قوله "وقولك للرجل الذي ترفقه على أخيه وتنبّهه للذي يجب عليه من صلة الرحم ومن حسن التحفّي إنّما هو أخوك" وقد لمّح السكّاكي إلى إمكان تعدّد المقامات بقوله "صلة الرحم" وهذا مقام يختزل مقامات عدّة وكذلك "حسن التحفّي" الذي منه مقام الإكرام والهبة والعطاء والنجدة والرأفة... إلخ. ويمكن أن نتبيّن مزية العامل ومقامات التلفّظ الدّال عليها بأكثر دقّة في الأمثلة التالية:

1/ أ- أنتم تأتون الرجال.

1/ ب- إنّكم لتأتون الرجال.

2/ أ- أنت خلية وأنا عزب.

2/ ب- إنّك لخلية وإنّي لعزب.

ففي المثالان (1 أ و2 أ) نلاحظ عري الملفوظ من كلّ ما من شأنه أن يكون عاملا حجاجيا يصدق عليه تعريف العامل الحجاجي باعتباره صرفما يوجّه

---

[127]- السكّاكي (أبو يعقوب): مفتاح العلوم، تح. نعيم زرزور، ص 295 - 296، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1983.

الملفوظ نحو "ق2" لضمان تسليم المتقبّل وإذعانه لذلك كان الخطاب مجرّد وصف للكون خارج كلّ مقام فهي محض إخبار لا غائية من ورائه سوى الإعلام في حين أنّ الملافيظ (1 ب و2 ب) قد أقحمت فيها عوامل حجاجية فبات لزاما تقدير مقام. مقام استنكار في (1 ب) حدّده العامل "إنّ... لـ" ومقام طلب الزّواج في (2 ب) ولهذا أسمى ابن الأثير (2 ب) تعريضا بالطلب إذ يقول "وعليه ورد التعريض في خطبة النكاح كقولك للمرأة إنّك لخلية وإنّي لعزب"[128] على أنّه في الملفوظ (1 أ و2 أ) قد لا نعدم وجود استلزامات ولكنّ ظهورها رهين تحديد المقام كالآتي:

1/ أ- أنتم تأتون الرجال + مقام استنكار ← كفوا عن هذا السلوك

2/ أ- أنت خلية وأنا عزب + مقام خطبة أو طلب زواج ← تزوجيني

ولكن الفرق بين الاثنين أنّ المقام في (1أ و2أ) خارج الملفوظ في حين أنّ نفس المقام موجود في (2ب و1ب) والعلامة على ذلك أنّ العامل هو الذي قدح المقام حتى لكأنّ المقام قد ذاب وتماهى في اللغة فأصبح عنصرا لغويا تقترضه اللغة من الواقع وذلك عبر العوامل الحجاجية. وهنا تطرح فرضية وهي أنّ كلّ ملفوظ يمكن أن نستنبط له مقاما به - أي بالملفوظ في حدّ ذاته- خارج كلّ مقام حسّي.

إنّ العامل الحجاجي الداخل على الملفوظ هو بمثابة الموزّع والمزوّد بالمقامات المحتملة fournisseur de contextes. وممّا يدلّ على أنّ العوامل تسم المقامات وتوفّرها في الملفوظ أن معظم أمثلة التعريض التي

---

[128]- ابن الأثير (أبو الفتح): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ج 2، 1990، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ص 186.

ضربها ابن الأثير في باب التعريض من كتاب "المثل السّائر"، قد دخل عليها عامل التأكيد. الذي هو عندنا عامل حجاجي، قال في تعريفه "وأمّا التعريض فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي فإنّك إذا قلت لمن تتوقّع صلته ومعروفه لغير طلب والله إنّي لمحتاج وليس في يدي شيء أنا عريان والبرد قد أذاني فإنّ هذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازا إنّما دلّ عليه من طريق المفهوم بخلاف دلالة اللمس على الجماع وعليه ورد التعريض في خطبة النكاح في قولك للمرأة إنّك لخلية وإنّي لعزب فإنّ هذا وأمثاله لا يدلّ على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا والتعريض أخفى من الكناية لأنّ دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي وإنّما سمّي التعريض تعريضا لأنّ المعنى فيه يفهم من عرضه أي من جانبه وعرض كلّ شيء جانبه"[129].

III خاتمة الفصل الأوّل:

إنّ جميع العوامل التي تعرّضنا إليها في المبحث الأوّل من هذا الفصل من نفي وقصر واستثناء لئن أنتجت بصرف النظر عن كلّ مقام مفهوما واحدا بالمعنى الذي صاغه الأصوليون وبعض اللسانيين المحدثين من أمثال أوريكيوني فإنّ العوامل التي عرضنا لها في هذا المبحث من نحو "إنّما" و"إنّ...

[129]- ابن الأثير (أبو الفتح): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ج 2، ص 186، ط. المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1990.

ل" جاءت تنتج المفهوم - وإنّ تعدّد- انطلاقا من مقام هي تسمه وتعلن عليه في الملفوظ.

إنّ ما نريد الوصول إليه وإثباته في هذا المبحث هو أنّ العامل الحجاجي قادح للمفاهيم المختلفة نيابة عن المقام في الملفوظ ولكنّ المأزق أو المعضلة هي ما العمل حين تتعدّد المفاهيم التي يقدحها العامل ألا يصبح العامل الحجاجي مدعاة لفوضى الدلالة عوض تنظيمها وذلك بإثارتها لمفاهيم عدّة هذا ما أقرّ به أنسكومبر (1987) عند اعترافه بقصور نظرية العامل فركن مع ديكرو إلى المواضع لتقوية النظرية، وهذا ما سنراه لاحقا من العمل إذ كيف كانت المواضع سبيلا للحدّ من وهن نظرية العامل الحجاجي.

الفصل الثاني:

العامل الحجاجي والموضع

يكمن دور العامل الحجاجي في كونه يستجيب لجوهر نظرية الحجاج وتحديدا ما يسمّى بالحجاج التقني القائم على مفهوم التوجيه L'orientation، أي التوجيه نحو "ن" أو الاستلزام أو المفهوم وتبعا لذلك فهو يخدم النظرية القائلة بأنّ أساس اللغة أنّها حجاجية لا إبلاغية.

غير أنّ الاستلزامات أو المفاهيم التي يوجّه إليها العامل الحجاجي باعتباره معلما على مقام وقادحا لمقام قد تتعدّد وتتنوّع إلى حدّ الاختلاف والتضارب أحيانا من أجل هذا جيء بمفهوم "الموضع" Topoï باعتباره يحدّ من هذا التعدّد ويقوّي التوجيه نحو "ن" على أنّ العامل مثلما يقدح الموضع وينشّطه فإنّه ربّما عطّله وأبطله. فماهو الموضع ؟ وماهي أقسامه ؟ وكيف ينهض لدور التوجيه الحجاجي في معاضدة منه للعامل الحجاجي وكيف يخضع لسيطرة هذا العامل يبرزه مرّة ويخفيه أخرى ؟

I- الموضع: تعريفه وأقسامه وأهمّيته في الحجاج:

لا يمكن الحديث عن الحجاج دون حديث عن المواضع لأنّ المواضع دعامة رئيسية وقارّة تؤكّد حجاجية الملفوظ بما توفّره من قيمة استدلالية مرجعية إليها ينشدّ الملفوظ وعليها "أي المواضع" تتحدّد مدى صلاحيته وعلى أهمّيتها هذه فقد خصّص لها أرسطو كتابا كاملا هو "الطوبيقا" لذلك تمهيدا لدراستها ضمن مسألة العوامل الحجاجية نعرض أوّلا لتعريفها من خلال دورها في الحجاج وفي الخطابة القديمة لأنّها، أي المواضع، ترعرعت في بادئ نشأتها في أحضان الخطابة، ثمّ نعرض لأقسامها وما يمكن أن تتفرّع إليه من أقسام صغرى مثل "المواضع الصاعدة" و"المواضع النازلة" ونعرض أخيرا لأهمّيتها في

الحجاج وقيمتها الخِطابية والاستدلالية في الملفوظ كي تتحقّق الوظيفة الحجاجية في الكلام.

I.1- تعريف الموضع:

يعود هذا المصطلح في أصله إلى الأدبيات الفلسفية وهو في معناه الأوّل مقولة Catégorisation وتقسيم لمختلف أنواع الميادين وأنواع الحجج المستعملة عادة في الخطاب[130] وهذا هو المعنى العام الذي لأجله صاغ أرسطو كتابا كاملا هو كتاب "الطوبيقا" Topiques وهي عند أرسطو كما يقول بارت "ما تلتقي فيه أغلبية الاستدلالات الخطابية"[131] فهي حينئذ النقطة المركز التي تحوم حولها عملية نجاعة الخطاب لذلك عرّفها دومارسي Dumarsais بكونها "الأقفاص التي يمكن لكلّ الناس أن يذهبوا إليها من أجل أن يأخذوا مادة خطاب ما وحججا حول كلّ نوع من الموضوعات"[132].

وتمثّل المواضع رافدا للقيم وهرميتها عند عملية الإقناع التي يروم الخطيب تحقيقها فهي بمثابة المقدّمات الثواني أو المعاني التي يركن إليها الخطيب وبدونها لا يستمدّ خطابه أي شرعية عند الجمهور وعليه نعتها بيرلمان "بالمقدّمات العامّة"... وهي متمحضّة للاستدلال الجدالي"[133] وعلاوة على وظيفتها البنيوية هذه أي الاستدلال الجدالي في الخطاب فإنّ لها وظيفة معنوية

---

[130]- انظرمعجم:

Pratique de la philosophie de A à Z, p 450 (éd)., Hatier, 2001.

[131]- بارط (رولان) : قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 60، تر. عمر أوكان، 1994.

[132]- بارط (رولان) : المرجع السابق، ص 61.

[133]- Perelman (C) et Tyteca (L.O) : Traité de l'argumentation, 5ème édition, 1992, p 112.

مضمونية ممّا حدا ببعضهم إلى ترجمة المواضع بـ"المعاني" وتتلخّص هذه الوظيفة في كون المواضع "تحدّد خصائص الأمم والجماعات الفكرية والأدبية وغير ذلك"[134]. فهي القاسم المشترك من التقاليد والمنظومات والأفكار والمبادئ بين أفراد الأمّة الواحدة، ولو أجيز لنا القول لقلنا إنّ المواضع أعدل الأشياء قسمة بين الناس من ذلك موضع القليل الدائم أحسن من الكثير المنقطع، الذي قد يكون موضعا نفهم به حديث الرسول صلى الله عليه وسلّم "خير الأعمال أدومها وإن قلّ"[135] والطريف أنّ كلّ موضع له موضع يقابله على سبيل التضاد فلئن صدق موضع ما في مجموعة بشرية ما في عصر ما فإنّه قد يبطل العمل به في مجموعة ما في ظروف ما. فالموضع المضاد للموضع المذكور أعلاه مثلا يقوم على تمجيد الكثرة والعدد الكثير. ولعلّ المثل الشعبي "الكثرة تغلب الصيد" قد يكون أنتج على أساس هذا الموضع فالمواضع حينئذ لا قيمة لها في ذاتها بقدر ما تكمن قيمتها في ما تؤدّيه من وظائف في الخطاب فهي بمثابة الأوتاد تشدّ الملفوظ إلى مرجعية لها سلطة دامغة تجعل من المتقبّل يذعن ويسلّم بما في الخطاب وعليه اعتبر بيرلمان المواضع بمثابة الخانات أو الأقسام les rubriques[136] التي تقع تحتها الحجج التي يلجأ إليها المتكلّم كلّما أراد التشريع لمطلبه من الخطاب لما فيها

---

[134]- صولة (عبد الله) : الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج – الخطابة الجديدة: لبيرلمان وتيتيكاه ضمن مصنّف، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم، مؤلّف جماعي إشراف هود حمادي، ص 311، منشورات كلية الآداب منوبة، 1998.

[135]- مسلم (أبو الحسن): المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن عدل عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ص 359، حديث عدد 1712، ط 1، دار الفكر، 2000.

[136]- Perelman (C) et Tyteca (L.O) : op. cit. p 112.

من صبغة استدلالية. تكون أقرب مسلكا لإقناع المتقبّل ولذلك عدّها بيرلمان شبيهةً بالمقدّمات في الأقيسة الجدلية. فهي حينئذ بمثابة "السبل التي يتوخاها المتكلّم في سبيل ضمان تصديق الجمهور"[137] وهذا ما يؤكّد أنّه ما من خطاب يريد منه صاحبه حسن القبول والتأثير إلاّ وجب قده على شبكة من المواضع بل إنّ أرسطو نفسه يشترط حسن الاختيار والمعرفة بالمواضع لكي يستوي بها الخطاب ويضمن سلامته من السفسطة وقسم بيرلمان المواضع في كتابه "مصنّف في الحجاج والخطابة الجديدة" إلى صنفين كبيرين :

أ- مواضع الكمّ *Lieux de quantité* :

وهي المواضع التي يقع الاحتكام في صلاحيتها إلى مقولة الكم والعدد[138] فالكثرة أو القلّة هي المعيار الذي على أساسه صيغ الموضع. من ذلك مثلا أنّ (المال الكثير خير من المال القليل)[139]. فمواضع الكم تؤثر وضعا أوّل على وضع ثان لأسباب كمّية صرفة – عبر مقولتي القلّة والكثرة والنجاعة التي تعود إليهما هاتان المقولتان. ويمكن أن تضرب مثلا على ذلك بقول المشركين لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم "نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذّبين"[140] حيث تظهر الجملة الثانية في قول المشركين "ما نحن بمعذّبين" بمثابة النتيجة للجملة الأولى "نحن أكثر أموالا وأولادا" التي جاءت في شكل مقدّمة يحكمها موضع "الأكثر أفضل من الأقل".

---

[137]- صولة (عبد الله) : مذكور آنفا، ص 311.

[138]- Perelman (C) et Tyteca (L.O) : Op. cit., p 115.

[139]- صولة (عبد الله) : المرجع السابق، مذكور، ص 311.

[140]- سورة سبأ، الآية 35.

ب- مواضع الكيف *Lieux de qualité* :

وهي المواضع التي تؤكّد في الخطاب صلاحية شيء دون آخر لأسباب كيفية لا دخل للكم فيها. بل إنّها متفرّدة وسبب تفرّدها هو قيامها على الوحدة "مثل الحقيقة التي يضمنها الله فهي واحدة في مقابل آراء البشر المختلفة"[141]. من ذلك ما جاء في القرآن من تمجيد للقلّة على حساب الكثرة لأسباب تعود إلى أفضلية القلّة من حيث الكيف (وهو الإيمان) ومن هنا يمكن فهم قوله تعالى "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله"[142].

ج- مواضع أخرى *Autres lieux*:

وقد أفرد لها بيرلمان فقرة. ضرب فيها أمثلة على موضعي الرتبة أو الأوّلية من قبيل اعتبار أنّ ما سبق أفضل ممّا لحق وأنّه ليس بالإمكان أحسن ممّا كان. أو موضع الموجود L'existant الذي يقوم على تمجيد الواقع والمعيش الراهن ويفضّله على الطارئ الذي قد يكون غير محصّل. وإن كان هذا التقسيم عاما جدّا لأنّ مقاييس التقسيم للمواضع متعدّدة من ذلك مثلا تقسيم أرسطو لها عندما اعتبر المواضع على نوعين مواضع عامّة وهي المواضع التي تستعمل في شتى العلوم[143] ومواضع خاصّة وهي المواضع التي تكون حكرا على علم واحد من العلوم. وإن كنّا سنتطرّق فيما سيقدّم من

---

[141]- صولة (عبد الله) : المرجع السابق، مذكور، ص 311.

[142]- البقرة، الآية 249.

[143]- Perelman (C) et Tyteca (L.O) : Op. cit., p 112.

العمل إلى صنفين كبيرين من المواضع وهي المواضع بماهي أفكار عامّة idée reçue والمواضع بماهي أشكال فارغة forme vide.

ويرى الأستاذ الريفي أنّ المواضع هي "المفهوم الأساسي الذي تقوم عليه عملية استكشاف التصديقات الصناعية"[144] فهي المصفاة التي يقع بها اختيار هذه المقدّمات. هذا مع البلاغة الكلاسيكية، فهي بعض العناصر العامّة التي يمكن أن نرجع إليها كلّ الأدلّة المستعملة في مختلف المواد التي نعالجها[145]، وأصل الكلمة فيما يرى الأستاذ الريفي "استعارة مكانية استعملها أرسطو في سياق حديثه عن المقدّمات الجدلية"[146] إذ عملية البحث عن هذه المقدّمات يقتضي مسالك معيّنة تقود إلى ما يسمّيه سيشرون بـ"مخازن الحجج Magasins des arguments وبدون هذه المواضع، مواضع الحجج، لا نستطيع الوصول إلى المقدّمات التي تمثّل في ذاتها حججا فمن أجل هذا يقول عنها الأستاذ الريفي "إنّ استعارة المواضع topoï عند أرسطو تدلّ على المسلك التي ينبغي أن يقصد إليها الذهن عند البحث عن الحجج ومواد القول"[147] بل إنّ أرسطو نفسه يعرّف المواضع بالغاية منها وبوظيفتها إذ يقول "عليك أن تحاول امتلاك المواضع أحسن امتلاك فتحتها تقع الحجج في

---

[144]- الريفي (هشام) : الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مؤلّف جماعي، إشراف حمادي صمود، ص 186، منشورات كلّية الآداب بمنوبة، 1998.

[145]- بارط (رولان): قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 60، تر. عمر أوكان، 1994.

[146]- الريفي (هشام): مذكور، المرجع السابق، ص 186.

[147]- الريفي (هشام): مذكور، المرجع السابق، ص 193.

الغالب"[148] فالمواضع "ليست الحجج بالذات وإنّما هي الغرف التي نرتّب تلك الحجج بداخلها من هنا فهي كلّ صورة تربط بين فكرة فضاء وفكرة خزان... إنّها ضاحية حيث يمكن العثور على الحجج"[149].

ومن هذا المنطلق انطلق ديكرو وأنسكومبر في تعريف الموضع في سبيل تقوية نظرية الحجاج عندهما. وتحديدا مفهوم العامل الحجاجي، إذ يرى انسكومبر أنّ المواضع "مبادئ عامّة تصلح لتقوية الاستدلال وماهي بالاستدلالات... فهي تظهر كأنّها ذات قوة قانونية"[150] وإن كان بيرلمان وتيتكاة قد تفطّنا إلى أهمّية مفهوم الموضع في الحجاج قبل ديكرو وأنسكومبر وإن اختلف توظيفه عند الطرفين في حين أن تولمين قد أهمله إهمالا تامّا[151] معوّضا إيّاه بعنصر الضمان: « Les garanties « G ».

ويقول الباحثان، ديكرو وأنسكومبر، "المواضع مصطلح اقترضناه من أرسطو وأعطيناه معنى مغايرا شيئا ما... فعندما نقول مواضع نقصد بها مجموعة مبادئ عامّة"[152] وهذه المبادئ العامّة هي التي تشدّ من أزر العامل وتقوّي سلطانه على الملفوظ بفضل ما تفرضه بذلك النمط المخصوص من الاستدلال لذلك قال انسكومبر "إنّه بالاعتماد على المواضع، وعلى المواضع

---

[148]- الريفي (هشام): مذكور، المرجع السابق، ص 193.

[149]- بارط (رولان): قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر. عمر أوكان، ص 61، 1994.

[150]- Anscombre (J.C) : Théorie de topoï, p 39, Kimé, 1995.

[151]- Plantin (Christian) : Essais sur l'argumentation, p 21 - 22, (éd), Kimé, 1990.

[152]- Anscombre (J.C) : Dynamique du sens et scalarité, colloque de Cerisy, p 135, 1987.

فقط، يرتكز الاستدلال... لذلك يمكن القول إنّ المواضع تلعب في حيوية الخطاب دورا تحليليا كالذي تقوم به المسلمات في النظام الرمزي"[153] كما تجدر الإشارة أيضا إلى أنّ مفهوم الموضع عند ديكرو وأنسكومبر غير بعيد عن مفهومه عند بيرلمان فلئن استعمله ديكرو وأنسكومبر مزاوجين بينه وبين العامل الحجاجي في اللعبة الحجاجية للوصول إلى المفهوم فإن بيرلمان استعمله كعنصر من قضايا الانطلاق Les propositions de départ.

وقد قسّمها بيرلمان إلى مواضع مشتركة ومواضع خاصّة Lieux communs / Lieux spécifiques. فلا وصول حينئذ إلى النتيجة إلاّ عبر الموضع الذي يميّز الفاسد من الصالح من الحجج. والموضع يكون متواضعا عليه سلفا بين الباث والمتقبّل فهو كما يقول علماء الأنتروبولوجيا، في سياقات أخرى، من المخيال الجمعي المشترك، وتظهر هذه المواضع من خلال سلمية وتبادلية خاصّة بين الرمزين أكثر (+) وأقلّ (-). وعبر ربط منطقي نتحصّل على أربعة بدائل أو بنى منطقية تسمّى أشكالا أو رموزا موضعية[154] وهي:

أ/ + ⇄ -

ب/ + ⇄ +

ج/ - ⇄ +

د/ - ⇄ -

---

[153]- Ancombre (J.C) : Op. cit., p 136.

[154]- Lundquist (Lita) : Le factum textus : fait de grammaire, fait de linguistique ou fait de cognition, langue française, n° 121, 1999, page 67.

لّما كانت المواضع ما به يتقوّم صحيح الحجج من فاسدها فإنّها على قيمتها هذه قد تفرّعت بتفرّع ميادين استعمالها سيما وأنّه لا وجود لملفوظ دون قيامه على المواضع فعلى تعدّد ميادين استعمالها تختلف وتنقسم لذلك فإنّ الموضع الذي نستعمله في ميدان ما كالفيزياء مثلا لا يصحّ استعماله في ميدان آخر وعليه فإنّ دراسة أقسامها وضروبها أضحت ضرورة ماسة سيما وأنّ أرسطو نفسه وعديد الدارسين من بعده قد عالجوا المسألة ونعرض فيما يلي لأقسامها.

2.I- أقسام المواضع:

تنقسم المواضع على الأقلّ إلى نوعين كبيرين. وصف بيرلمان النوع الأوّل بكونه المواضع المشتركة Lieux communs والنوع الثاني المواضع الخاصّة Lieux spécifique وعلى نهجه تقريبا سار بارط في كتاب قراءة جديدة للبلاغة القديمة إذ يرى أنّها أمّا مشتركة وهي "ليست قوالب مليئة ولكنّها على العكس مواضع شكلية. وباعتبار أنّها عامّة... فهي مشتركة بين كلّ الموضوعات"[155]. وأمّا المواضع الخاصّة فهي المواضع "الصالحة لموضوعات محدّدة... إنّها حقائق متميّزة واقتراحات خاصّة مقبولة من طرف الجميع"[156]. فالموضع نوعان: نوع أوّل وهو متى كان فكرة عامّة Idée générale. وهو في عرف موشلار القاعدة التي يكشف عنها

---

[155]- بارط (رولان): قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 65، تر. عمر أوكان، 1995.

[156]- بارط (رولان): المرجع السابق، ص 66.

محتواها الوظيفي الحجاجي في سبيل انتقاء حجج متناسقة مع المعطى[157] فلا تضارب حينئذ بين المعطى والنتيجة فيه وذلك من قبيل :

أ/ بقدر ما يكون الطقس جميلا يكون الخروج للنزهة أوكد.

ب/ بقدر ما يكون الطقس رديئا يكون البقاء في البيت أحسن.

وتعرّف روث اموسى هذا الصنف من المواضع قائلة "الصنف الأوّل يحيل على المواقف المختصّة التي على درجة كبرى من العمومية"[158] وأمّا النوع الثاني من المواضع فهو المتعلّق بالشكل الفارغ Forme vide. فالغاية منه هو شكله وصورته ومنواله المنطقي الخطابي. وبهذا عرفت أموسى هذا الصنف من المواضع قائلة هو "بنية شكلية ومنوال منطقي خطابي. إنّه صورة بدون محتوى محدّد تساعد على تنسيق الحجاج"[159] وذلك أنّ دورها في الخطاب شكلي صوري فهي تحضر ببنيتها وصورتها لا بمحتواها وعليه عرّفها بارط بنفس الطريقة إذ يقول "المواضع هي في الأصل أشكال فارغة لكن هذه الأشكال حصل لها بسرعة ميل إلى أن تملأ دائما بنفس الطريقة ، إلى أن تحمل محتويات تكون في البداية جائزة ثمّ بعد ذلك تصبح مكرّرة ، مشيأة لقد أصبح المعنى المشترك خزّانا للقوالب... إنّها أشكال فارغة مشتركة بين كلّ الحجاج

---

[157]- Moeschler (Jacques): Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle, p 38, (éd.) Armand Colin, 1996.

[158]- Amossy (Ruth): L'argumentation dans le discours, p 99 - 100, (éd). Nathan, 2000.

[159]- Amossy (Ruth) : Op. cit., p 100.

إنّها قوالب واقتراحات مكرّرة..."[160] وفي ما يلي نبسط القول في هذين النوعين من المواضع.

I.2.1- المواضع بماهي أفكار عامّة *Idée générale/ Reçue* :

كنّا قد أشرنا في ما مضى من العمل إلى أنّ المواضع على ضربين فهي إمّا أن تكون شكلا فارغا forme vide. أو أن تكون فكرة عامّة Idée générale/ reçue وهي متى كانت أفكارا عامّة تكن بمثابة القانون الذي تواضع عليه الجمهور وهي في أصل الوضع مع أرسطو "آراء تذكّر من جديد أولئك الذين يطّلعون عليها بكلّ الجهات التي بواسطتها يمكن اعتبار موضوع ما"[161] ومعلوم أنّ هذه الآراء العامّة. يقدحها اللفظ حتى أنّ أحدث النظريات اللسانية تجعل كلّ كلمة في المعجم يثوى تحتها موضع من ذلك مثلا كلمة من قبيل "خطر" يقع تحتها موضع "كلّ خطر يجب تجنّبه" أو "كلّ خطر يجب معرفته لعدم الوقوع فيه" وإن كانت المواضع متعدّدة حسب العصور والشعوب... وعليه نتج عن هذا الطرح تقسيم الخطاب إلى ضربين خطاب قوامه أو تواصله يكون بـ"إذن" وهو خطاب معياري normatif. وخطاب انتهاكي transgressif يكون تواصله بـ "رغم أنّ".

أمّا الخطاب المعياري فهو ما يمكن إدماج الصرفم "إذن" في سبيل فهمه من ذلك مثلا كلمة "خطر" التي تقتضي "إذن يجب الحذر" وهنا نلاحظ تواشج

---

[160]- بارط (رولان): قراءة جديدة للبلاغة القديمة. تر. عمر أوكان، ص 63، 1994.

[161]- بارط (رولان): قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 60، تر. عمرو أوكان، إفريقيا للشرق، 1990.

الموضع والصرفم الذي يقوم إليه. بل إنّه ثمّة من اللسانيين من لمّح إلى أنّ تعريف الكلمة معجميّا يمكن أن يمرّ عبر نوعيه الخطاب الذي تحتويه أو عبر الموضع فديكرو وكاريل في هذا السياق يعرفان "الحذر هو الذي يحمي نفسه عندما يكون ثمّة خطر"[162] ويمكن أن نضرب مثلا آخر على ذلك وهو "إنّه كثير العمل ← إذن ← ينجح" فالصرفم "إذن" حدّد النتيجة معياريا وذلك لأنّه ثمّة موضع قابع تحت كلمة "العمل" إذ العمل يؤدّي إلى النجاح ضرورة وهذا موضع متّفق عليه. وعلاوة على هذه النظرية القائلة بتصنيف الخطاب إلى ضربين فإنّ الانتقال من "ق1" إلى "ق2" يكون عبر "إذن".

وأمّا الضرب الثاني من الخطاب فهو الخطاب الانتهاكي أو الاختراقي transgressif وهو ما نظفر به من الصلة بين ملفوظين عبر الصرفم "رغم" pourtant من ذلك قولنا:

❖ إنّه كثير العمل ورغم ذلك لم ينجح.

فهذا الضرب من الخطابات تخترق فيه المواضع وتنتهك قيمتها. وذلك أنّه ثمّة موضع يقرّ بأنّه "من يعمل ينجح أو من يزرع يحصد" لكن هنا نلاحظ أنّ الموضع قد اخترق وهذا ما قد يفسّره بنيويا منوال المربّع الحجاجي الذي سيأتي الحديث في شأنه في فصل السلالم الحجاجية، وما يسترعي الانتباه هو أنّ هذا الضرب الثاني من الخطاب يوفّر حجاجية خاصّة وذلك عند انتهاكه لمناويل ومواضع كان الجمهور قد تواضع عليها وغدت جزءا من دلالة اللّفظ

---

[162]- Carel (Marion) et Ducrot (Osowald): Le Problème du paradox dans une sémantique argumentative, Langue française, p 15, N° 123, 1999.

المعجمية حتى قيل من زاوية نظر حجاجية إنّ "المعنى المعجمي للكلمات يحدّد بنية الملفوظ"[163] وذلك عبر الصرفين المذكورين (إذن ورغم)[164].

إنّ إنتاج الخطاب وتناسله عبر الصرفين "إذن ورغم" قد أكّد بصيغة مباشرة على حجاجية اللغة من جهة وعلى نجاعة المواضع في الحجاج من جهة ثانية. ولعلّ المواضع بماهي فكرة عامّة تؤكّد ذلك. بصورة قد يتداخل فيها الموضع في حدّ ذاته والنتيجة التي يروم الباث إيصالها منه وهنا تكمن مزية العامل الحجاجي فهو بقدر ما يساهم في إخراج النتيجة فإنّ ذلك لا يتمّ إلاّ بعد أن يقدح Déclenche / motive الموضع ولأنّ إخراج النتيجة وهي محدّدة وليست عامّة يتطلّب الاتّكاء على رأي عام وفكرة مشتركة بين المتخاطبين ونقصد بذلك الموضع. وهنا نكتشف بصيغة أخرى كيف تشتغل العوامل الحجاجية. في سبيل الظفر بالمفهوم من القول فهي تقدح الموضع أوّلا باعتباره رأيا عاما وتتّخذه مطية في سبيل الوصول إلى النتيجة المحدّدة والخاصّة ويمكن لنا تمثيل ذلك كالآتي :

العامل يقدح الموضع	← و	(العامل + الموضع) يقدح النتيجة

لكن كيف يتمّ هذا الاشتغال في الجهاز الحجاجي؟ نجيب على ذلك بعد الفراغ على الكلام وأقسامها.

---

[163]- Lundquist (Lita) : Le Factum textus fait de grammaire, fait de linguistique ou fait de cognition, langue française, p 63, N° 121, 1999.

[164]- انظر في هذا السياق المرجع السابق بالصفحة 64.

I. 2. 2- المواضع بماهي أشكال فارغة *Forme vide* :

لئن عرّف أنسكومبر (1987) الضرب الأوّل من المواضع - أي متى كانت أفكارا عامة- "بأنّها ما يقع عليه الاعتماد في الاستدلال والبرهنة"[165] نظرا لعموميتها وقوّتها واشتراك المتخاطبين في الإجماع عليها فإنّه قد عرّف الضرب الثاني من المواضع –أي متى كانت أشكالا فارغة- "وسنهتمّ بالمواضع في صيغتها كأشكال فارغة تراتبية graduels وشكلها العام هو (أكثر / أقلّ) من شيء "أ" له الخاصية "خ" وأكثر / أقل من شيء "أ'" له الخاصية "خ'"[166]. ويضرب أنسكومبر في نفس المقال مثالا هو:

❖ سنأكل قليلا هذا المساء، لأنّنا أكلنا كثيرا في الغداء.

والبيّن أنّ المواضع متى كانت أشكال فارغة. تمثّل بنى منطقية خطابية توفّرها عملية تبادلية للرمزين أكثر (+) وأقلّ (-) وكلّ شكل موضعي يعطي نتيجة محدّدة فلا تتساوى النتائج لاختلاف الأشكال الموضعية الفارغة ذلك أنّ "العلاقة الحجاجية تتطلّب وجود موضع بين الحجّة والنتيجة"[167] ويمكن أن نضرب مثالا في ميدان البيع والشراء وهو ميدان يقوم على الحجاج الصرف من خلال الملفوظ التالي وهو:

هذا الحاسوب ثمنه مائتا دينار.

---

[165]- Anscombre (J.C) : Dynamique du sens et scalarité, p 135, colloque de Cerisy, 1987.

[166]- Anscombre (J.C) : Op. cit., p 136.

[167]- المبخوت (شكري): أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مؤلّف جماعي إشراف حمادي صمود، ص 381، منشورات كلّية الآداب منّوبة، 1998.

وله نتيجتان متعارضتان هما الشراء وعدم الشراء. وتطبيقا لتعريف أنسكومبر الآنف الذكر نتحصّل على الشكل التالي:

الشراء { موضع 1 + + ؛ موضع 2 - + }

عدم الشراء { موضع 3 - - ؛ موضع 4 + - }

ويمكن تبسيط المثال في الشكل التالي:

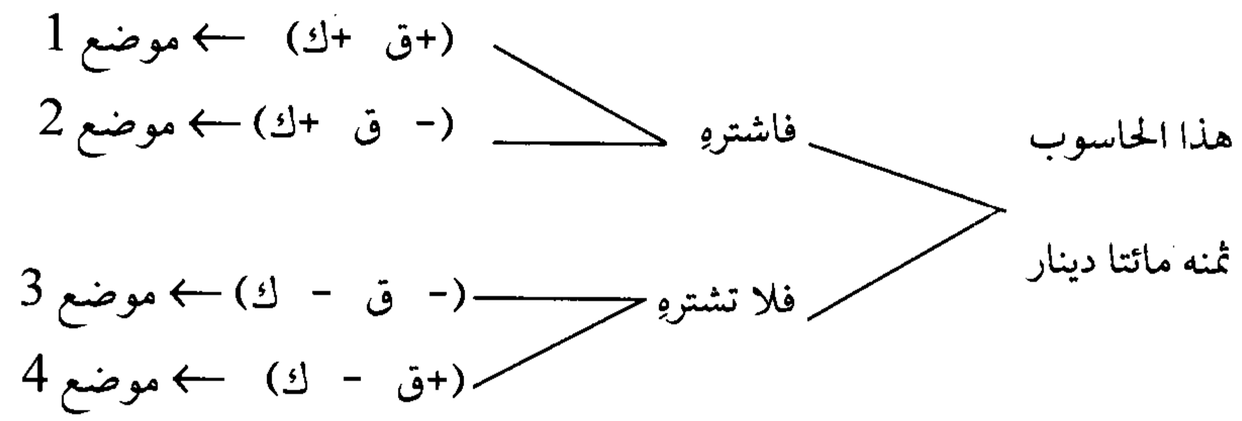

ولو ترجمنا هذه الرموز إلى لغة لقلنا:

م1 : كلّما كان ثمن الشيء مرتفعا ازدادت الحاجة إلى شرائه ← (+ق +ك).

م2 : كلما كان ثمن الشيء منخفضا ازدادت الحاجة إلى شرائه ← (- ق +ك).

م3 : كلّما كان ثمن الشيء منخفضا ضعفت الحاجة إلى شرائه ← (- ق - ك).

م4 : كلّما كان ثمن الشيء مرتفعا ضعفت الحاجة إلى شرائه ← (+ق - ك).

ويمكن تجسيم هذه المواضع في الشكل التالي :

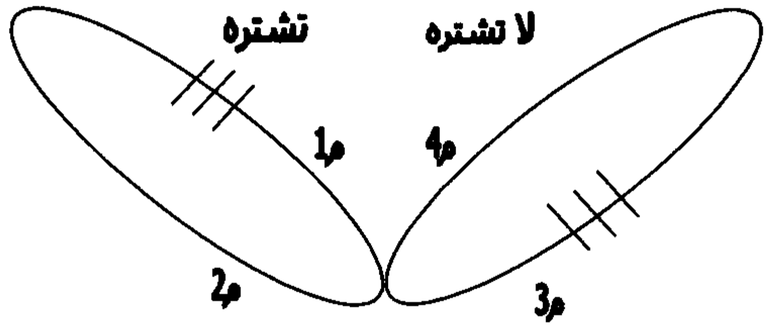

ثمن الحاسوب مائتا دينار

إنّ هذه الإمكانات الأربعة أو البدائل والتقليبات هي التي ساعدت ديكرو على رفد نظرية العامل وتأكيد نجاعتها في البرهنة على حجاجية الخطاب ويشهد بذلك ويؤكّد ذلك موقع الملفوظ من السلم الحجاجي. وإن كان لكلّ عصر وكلّ مصر مواضعه الخاصّة ولكلّ مواضع آليات خاصّة في الإنتاج فالموضع (1 و3) لهما تقريبا نفس العملية في الإنتاج في حين أنّ الموضع (2 و4) يمكن وضعهما تحت خانة واحدة ونقصد بهذا الكلام مَقْوَلَة إنتاج المواضع La catégorisation de la production des topoï

أليست المواضع في تعريف سيشرون مخازن للحجج. وما يظهر نجاعة الموضع إلاّ العامل الحجاجي الذي يعتبر قالبا نميّز به بين المواضع الصحيحة واللاحنة بل إنّ مزية العامل على المواضع إنّما تكمن في تقليصها وتحديدها ومَقْوَلتها ولنا عودة إلى نفس المثال بعد أن ندخل عليه عاملا حجاجيا.

وينقسم هذا الضرب من المواضع إلى قسمين صغيرين المواضع الصاعدة والمواضع النازلة. أمّا المواضع الصاعدة فمن قبيل ما يعبّر عنه بعض المسوّرات الدالة على الكثرة[168]. ويمكن أن نمثّل لذلك بالملفوظ التالي:

كلّما كان الطقس جميلا كان الخروج للنزهة ألحّ.

ولو مثّلنا للموضع الصاعد بالرموز التي اقترحها ديكرو وأنسكومبر لكان تمثيله بالرمزين (+ +) بحيث أنّ المقدّمة والنتيجة متجانسان وهذا مما يجعل الموضع صالحا لأن يحتجّ به وغير فاسد مثل الموضع الذي يمثّله الرمز (+ -) والذي نترجمه لغويا بـ"كلّما كان الطقس جميلا كان عدم الخروج للنزهة أوكد" فالموضع الصاعد topoï ascendant حينئذ صالح للحجاج بما يوفّره شكله الفارغ وبنيته المنطقية من تلازم لا ينكره المتقبّل المحتوى القضوي الذي يشحن به الباث الرمزين (+ +) أي المقدّمة والنتيجة.

وأمّا المواضع النازلة topoï descendant فهي ما يمكن تمثيله بالرمزين (- -) وهو ما يمكن أن يختزله موضع القلّة أو النفي ولو عدنا إلى المثال السابق لتحصّلنا على الموضع التالي:

(- -) كلّما كان الطقس ليس جميلا / رديئا كان البقاء في البيت ألحّ

وما يسترعي الانتباه هو أنّ الموضع النازل يشترك مع الموضع الصاعد في مستوى تجانس طبيعة المقدّمة مع النتيجة ونقصد بذلك أنّه متى كانت المقدّمة

---

[168]- Anscombre (J.C) : Dynamique de sens et scalarité, p 136, colloque Cerisy 1987, « Les opérateurs argumentatifs ne contraignent pas les classes des conclusions mais les trajets permettant à l'atteindre ».

إيجابية تكون النتيجة كذلك أي (+ +) وهذا ما نجده في الوضع الصاعد ومتى كانت عكس ذلك (- -) فإنّها تصحّ أيضا وهذا ما نجده مع الموضع النازل. وقد يكون هذا الاشتراك يعود إلى طبيعة الموضع متى كان شكلا فارغا ونقصد بذلك أنّ كلا الضربين (الموضع الصاعد والموضع النازل) إنّما هما بنية مجرّدة منطقية خطابية. هذا عن مفهوم الموضع وأنواعه فماذا عن أهمّيته في الحجاج؟

كنّا تعرّضنا إلى تعريف المواضع وأقسامها وذلك كلّه لبيان نجاعتها في الحدث الحجاجي. وهي وإن كانت قديما ذات دور مركزي في الخطابة لأنّها ملجأ للخطيب بها يضمن سلامة خطبته من اللحن والوقوع في مأزق عدم التوصيل وبالتالي القطيعة مع الجمهور. فإنّها في الحجاج قد وظّفت توظيفا قريبا من توظيفها في البلاغة وإن كان بشكل مغاير اضطرّ أنسكومبر إلى التصريح بنجاعة اقتراضها من الخطابة الأرسطية وإعادة توظيفها توظيفا جديدا. وإن لم تنقص قيمة ممّا كانت عليه في الخطابة القديمة. وفيما يلي نقف على أهمّيتها وفضلها.

I . 3 - أهمّية المواضع في الحجاج:

مثلما أنّه لا يمكن الحديث عن المنطق دونما حديث عن ضروب الأقيسة التي يقوم عليها فإنّه لا يمكن الحديث بحال من الأحوال عن الحجاج دونما حديث عن المواضع كيف لا وقد عرّفها شيسترون بكونها "مخازن الحجج" وعرّفها دومارس Dumarsais بكونها أقفاص الحجج وألحّ أرسطو على أنّها "ما يجب حسن امتلاكه" حتى يصلح الحجاج ويحقّق الملفوظ وظيفته

الحجاجية فهي ليست الحجج في حدّ ذاتها بل هي كما سمّاها بيرلمان ما يشبه الأقسامLes rubriques التي يقع تحتها ما يؤيّد الحجج. ويمكن أن نبرهن على أهمّيتها من خلال المثال التالي:

1- عجّل فإنّ الساعة تشير إلى التاسعة ونصف.

2- إنّما هي التاسعة ونصف فالطائرة قريبا ستقلع.

إنّ الضامن لصلاحية الملفوظ 1 و2 إنّما هو الموضع الذي يقرّ بعدم إضاعة الوقت وحسن استغلاله من قبيل "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك" وقد ساعد على انقداح الموضع في الملفوظ (ق1) عاملية صيغة الآمر في الفعل والتوكيد بـ"إنّ" وفي الملفوظ (ق2) عاملية الصرفم "إنّما". فالمركزي في الملفوظ ليس نظمه والوحدات المعجمية التي تكوّنه إنّما حجاجيته تكمن في قوّة الموضع الذي يجعله صالحا حجاجيا لإقناع المتقبّل وكدليل على ذلك. في الملفوظ الأوّل، أنّه لا معنى له خارج مقولة الزمن وعلاقة الإنسان به والمقام الذي يقتضيه الملفوظ ساعة التلفّظ وعليه فإنّه بمجرّد أن نبدّل العامل الحجاجي حتى نتحصّل على موضع آخر يسوّغ لحجة أخرى من قبيل:

1- لا تعجل، فإنّها التاسعة ونصف، ففي العجلة ندامة.

2- إن هي إلاّ التاسعة ونصف مازال الوقت أمامنا.

وهذا برهان على قيام الحجاج على المواضع فلا حجاج بدون مواضع وإن صار اللبس في أحيان كثيرة بين الموضع والحجّة في حدّ ذاتها لكنّ زئبقية الموضع أي صلاحه في مكان ما في زمن ما وفساده في مكان آخر في زمن آخر هو الذي يكسيه صفة القطعية وقيام الحجاج عليه ولكن تبقى النتيجة هي

المحدّد الرئيسي مع المقام لصلاح موضع دون آخر وهذا مأتى عدم استقرار المواضع وثباتها. من ملفوظ إلى آخر رغم أنّ صفة الأهميّة التي وسمناها بها لا تسقط بحال من الأحوال حتى أنّه لا ندّعي إذا قلنا أنّه ممن ملفوظ يتلفّظ به إلاّ وتشده شبكة من المواضع وليس أدلّ على ذلك مثلا المواضع الخاصّة التي تخصّ علما بعينه كالفيزياء ففي قولنا "إنّ الماء صار بخارا" مثلا يفضي إلى أنّه تعرّض إلى درجة حرارية تفوق المائة درجة ويقال هذا الملفوظ لنتيجة من قبيل "دع الماء يبرد" أو "عجّل بفتح النافذة..." والمفيد من كلّ هذا أنّ المواضع على تعدّدها عامّة كانت أو خاصّة كما رأينا أعلاه هي بمثابة القاعدة أو المصفاة التي بدونها لا يأخذ الملفوظ أي مشروعية فهي كالأواني للمعاني والقيم والدلالة بصفة عامّة.

ويمكن تلخيص قيمة المواضع في الحجاج وحصر أهمّيتها في نقطتين مركزيتين هما قيمتها الاستدلالية valeur inferentielle وقيمتها الخطابيةvaleur discursive.

أ- القيمة الاستدلالية:

كنّا أشرنا في تقسيمنا لأصناف المواضع أنّها على ضربين فهي إمّا أشكال فارغة وإمّا أفكار عامّة. والملاحظ أنّ المواضع متى كانت أشكالا فارغة. كانت ذا قيمة استدلالية في الملفوظ بما يوفّره شكلها المجرّد وبنيتها المنطقية التي تقوم عليها ويمكن بيان ذلك من المثال التالي:

م1 بكر في رحيلك — فإنّ المسافة طويلة: (+ +)

م2 بكر في رحيلك — فإنّ المسافة ليست طويلة: (+ -)

م3 لا تبكر في رحيلك فإنّ الرحلة ستطول: (- +)

م4 لا تبكر في رحيلك فإنّ الرحلة ليست طويلة: (- -)

إنّ القيمة الاستدلالية في الأشكال الموضعية الآنفة الذكر ينهض بها الموضعان (1 و4) لما يملكانه من صفة القطعية والنجاعة أو الصحّة المنطقية وهذا ما يمكن ترجمته كالآتي :

م1 ← (+ +) كلما كانت المسافة طويلة وجب التبكير في الرحلة.

م4 ← (- -) كلّما كانت المسافة قصيرة يجوز عدم التبكير في الرحلة.

فالأهمّية ليست في المعنى الذي يؤدّيه الموضع بقدر ما تكمن الأهمّية في الشكل المنطقي الذي أنتج المعنى وعليه يوجد التباس سنحاول الوقوف عنده فيما سيأتي بين نظرية الحجاج بالمواضع عند ديكرو ونظرية الاستدلال عند قرايس الذي يعتبر السياق Le contexte هو المحدّد الرئيسي للنتيجة في حين أنّ ديكرو يعوّل على المواضع باعتبارها قوادح للنتائج وباعتبارها الحلقة الواصلة بين الحجّة والنتيجة فلا نتيجة دونما موضع ترتكز عليه ولا موضع دونما نتيجة يؤدّي إليه فالعلاقة بينهما إلزامية إذ وجود أحدهما يقتضي وجود الآخر. وعليه فإنّ الهدف أو الغاية أو القيمة الاستدلالية للمواضع في الحجاج ليست كماهي عليه العلاقة بين المقدّمات في الأقيسة المنطقية إنّما هي شيء مغاير وإن تشابها في مستوى البنية. وهذا ما يفسّره تقريبا القيمة الخطابية La valeur discursive للمواضع في الحجاج.

ب- القيمة الخطابية :

إنّ القيمة الخطابية للمواضع تكمن في ما توفّره للملفوظ من تسلسل وترابط Enchaînement الخطاب وانسجامه وعلى هذه القيمة المركز انصبّ اهتمام ديكرو معتبرا أنّ نجاعة المواضع وأهمّيتها تكمن في إعطائها الملفوظ إمكانية مواصلة المحادثة وذلك عبر تسلسله وتواصله وذلك أنّ الموضع يمكّن الباث من السيطرة على الحدث التلفّظي وتحول دون إعطاء الفرصة للمتقبّل في الاعتراض فما له من سبيل سوى الخضوع لقهر سلطة الموضع والإذعان لما يسمع. ويمكن للمثال التالي بيان القيمة الخطابية للمواضع.

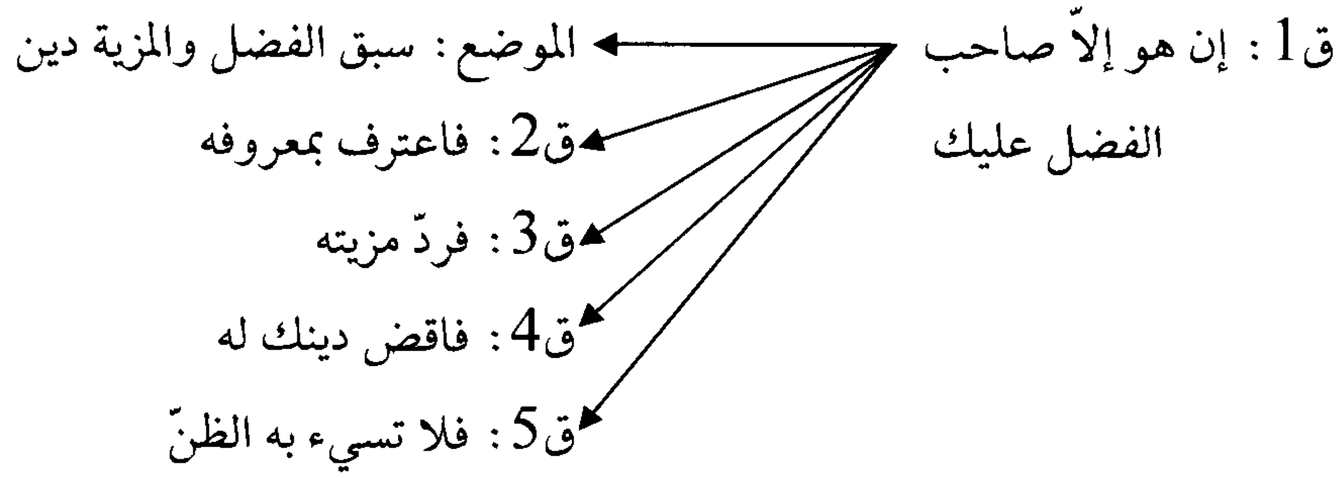

إنّ إمكانات تواصل الملفوظ L'enchaînement تؤكّد مرّة أخرى على أنّها مزية ينهض بها الموضع فهو وحده، على قدر طاقته الحجاجية قادر على إعطاء مشروعية لبعض الملافيظ دون غيرها أن تكون في خانة الممكن مواصلة التلفّظ به. وينضاف إلى هذه القيمة قيمة ترابط الخطاب وتواصله هو تحقيق الموضع لانسجام الملفوظ بما يمكن أن يكون تواصلا به وامتدادا فلولا الموضع لّما كان ثمّة انسجام بين الحجّة والنتيجة ولا امتداد بين ما نواصل به الملفوظ والنتيجة والطريف في الأمر أنّه على قدر قدرة الموضع في المحاجة

يكون عدد الإمكانات في مواصلة الملفوظ وعلى قدر قوّة العامل الحجاجي يكون ظهور الموضع وقدحه.

إنّ قيمة المواضع وأهمّيتها في الحدث الحجاجي تكمن في كونها عنصرا أساسيا في المعادلة الحجاجية وبدونها لا يحقّق المتكلّم بملفوظه أيّ قيمة أو هدف حجاجي وكنّا قد أسلفنا في تشبيه أهمّيتها بكونها كالقياس في المنطق فلا يمكن الحديث عن منطق دون قياس كما أنّه لا يمكن الحديث عن حجاج دون مواضع ويؤكّد دورها في الحجاج وظيفتها الاستدلالية البنيوية ووظيفتها الخطابية التلفظيّة.

وبنظرية الموضع تميّزت نظرية الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر عن نظرية الاستدلال l'inférence عند قرايس فيما يتعلّق بطرائق الحصول على النتيجة الضمنية في الكلام la conclusion implicite في هذا الصدد رأينا موشلار يعقد فصلا في كتابه النظرية التداولية والتداولية التخاطبية عنوانه الاستدلال والحجاج وقد أشار في بدايته إلى وجود تشابه كبير بينهما. وذلك في مستوى الربط بين المقدّمات والنتائج عبر العامل "إذن" غير أنّ الفرق الرئيسي بينهما يكمن في أنّ الحجاج قائم في الخطاب في حدّ ذاته والاستدلال يحوم حول الاعتقادات المرتبطة بالواقع[169] علاوة على الاختلاف بين تعريف الاستدلال عند قرايس وتعريف الحجاج عند ديكرو، إذ يعرّف قرايس الاستدلال قائلا "من خلال مجموعة من القضايا، "ق1" "ق2" "ق3"... التي

[169]- Moeschler (Jacques) : Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle, p 41, (éd). Armand Colin, 1996.

تكوّن السياق لملفوظ ما ومجموعة من قواعد المحادثة نظفر بالقضية ك"[170] والمقصود بالقضية ك عند قرايس النتيجة.

والبيّن من خلال تعريف قرايس هذا أنّ رهان الاستدلال ليس الملفوظ في حدّ ذاته بقدر ما يكمن رهانه في العلاقة بين القضايا أي قضايا الانطلاق وتنظيم القواعد الخطابية لها. في حين أنّ الحجاج بعيد عن هذا المعنى تماما خاصّة عندما عُضِدَ بالمواضع وإن يترأى للغر من أوّل وهلة ذلك التشابه الذي مأتاه ابستيمى وهو مقولة التحوّل من وضع إلى آخر من "ق1" إلى "ق2" من المقدّمات إلى النتائج. إنّ النتيجة عند كلّ من ديكرو وأنسكومبر مستخرجة من الجملة مباشرة باعتماد الموضع الثاوي تحتها وليست حصيلة مجمل القضايا التي تشكّل السياق contexte عند قرايس.

II- مزية العامل في الحجاج: العامل يقدح الموضع ويعطّله:

II. 1- العامل وقدح الموضع *activation du topoï* "إنّما" نموذجا:

صرّح أنسكومبر في مقال له (1987). أنّ نظرية العامل الحجاجي يجب أن تدعم بالمواضع وإن كانت المواضع معهما قد حُوّرت في مستوى استعمالها ولذلك قال "وسنركن إلى المواضع، وهو مصطلح اقترضناه من أرسطو وأعطيناه معنى مغايرا شيئا ما"[171] والطريف أنّ هذا الموضع الذي جيء به

---

[170]- Moeschler (Jacques) : Op. cit., p 42.

[171]- Anscombre (J.C) : Dynamique du sens et scalarité, colloque de Cerisy, p 135, 1987 « Nous aurons recours à la notion de topos, terme que nous empruntons à Aristote en lui donnant toutefois un sens quelque peu différent ».

ليعضد وظيفة العامل. هو نفسه يخضع لسلطان العامل فيخرجه ويفصح عنه كي تتمّ عملية استرسال الخطاب وتناسقه وتسلسله enchaînement لأنّه إذا لم يقدح الموضع في الخطاب فلا سبيل لمواصلة المحادثة ونقول هذا بناء على فهم أرسطو للمواضع بماهي فكرة عامّة "منها يولد عدد غير متناه من المقدّمات"[172].

فقولنا أ : هو أخوك وصاحبك القديم

ب : إنّما هو أخوك وصاحبك القديم[173]

نلاحظ أنّ القول "أ" سيق على سبيل الإبلاغ فحسب ودليلنا على ذلك أنّ المتكلّم بعد إثبات هذا الملفوظ يجوز له أن يسكت عنده فلا يتوغّل في القول في حين أنّ القول "ب" جيء به للحجاج فإمكانية الحديث بعده متواصلة وما يضمن لنا هذا القول هو الموضع الذي يقدحه الصرفم العامل "إنّما" فقولنا إنّما هو أخوك وصاحبك القديم تتناسل منها مجموعة من الأقوال من قبيل :

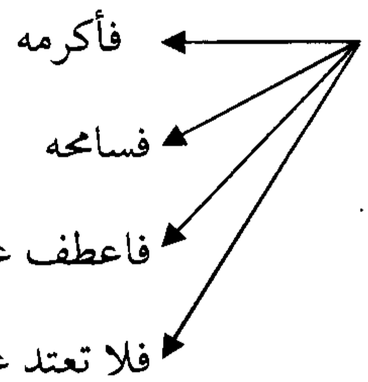

---

[172]- الريفي (هشام) : الحجاج عند أرسطو ضمن أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مذكور ص 196.

[173]- المثال مأخوذ من كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد رشيد رضا، د.ت، ص 254.

والضامن لهذه الأقوال إنّما هو الموضع "كفكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع"[174] وهذه المواضع هي تباعا:

المواضع كفكرة عامـــة

1- فأكرمه ← الأخ يُكرَم

2- فسامحه ← الأخ يُسامح

3- فاعطف عليه ← الأخ يُعطفُ عليه

4- لا تعتد عليه ← الأخ لا يُعتدَ عليه

ولذلك قال الجرجاني في دراسة هذا المثال وفي دراسة الصرفم "إنّما" "اعلم أنّ موضوع إنّما على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحّته ولما ينزل المنزلة. تفسير ذلك أنّك تقول للرجل إنّما هو أخوك وإنّما هو صاحبك القديم لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحّته ولكن لمن يعلمه ويقرّبه إلاّ أنّك تريد أن تنبّهه للذي يجب عليه من حقّ الأخ وحرمة الصاحب"[175] ودليلنا على أنّ الصرفم يقدح الموضع ويبرزه ويحدّد المسلك التأويلي الذي ينبغي للمتقبّل توجيه للوصول للنتيجة. هو قول الجرجاني "لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحّته ولكن لمن يعلمه ويقرّبه" وهذا بَدْءً يخصّ الموضع فالمتقبّل لا يجهل الموضع بل يقرّبه وذلك لأنّه فكرة عامّة مشتركة. وبعد قدح العامل تقع

---

[174]- المبخوت (شكري): نظرية الحجاج في اللغة ضمن أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مؤلّف جماعي: (إشراف: حمادي صمود)، ص 380، منشورات كلّية الآداب منوبة، 1998.

[175]- الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز، تصحيح، محمد رشيد رضا، ص 254، د. ت، بيروت، لبنان.

عملية التوجيه الحجاجي وتقويته نحو النتيجة وذلك ما عبّر عنه الجرجاني بقوله "إلاّ أنّك تريد أن تنبّهه للذي يجب عليه من حقّ الأخ وحرمه الصاحب" لذلك استعمل فعل "تنبّهه" أليس التوجيه في حقيقته وفي معنى من معانيه "التنبيه"؟

والتوجيه توجيهان توجيه إلى المفهوم الذي يروم المتكلّم إقناع مخاطبه به وتوجيه ثان يتمّ فيه قدح الموضع وإبرازه ولولا هذا التوجيه الثاني لما حصل توجيه إلى النتيجة وعليه قال أنسكومبر "إنّ المواضع هي التي يقع الاتّكاء عليها في عملية الإقناع"[176] لأنّها هي التي ترسم المسلك التأويلي الصحيح للوصول إلى النتيجة. ولا يكون هذا التحديد للمسلك التأويلي إلاّ بواسطة العامل الذي ،كما أسلفنا، يقدح الموضع ويطهره في الملفوظ في سبيل الوصول إلى النتيجة النهائية فالفضل كلّ الفضل إنّما يعود إلى العامل.

إنّ الموضع الذي يقدحه العامل الحجاجي يجعل للملفوظ مفهوما أو استلزاما واحدا أو يعيّن على الأقلّ قسما واحدا من هذه الاستلزامات فبالعودة إلى هذه الاستلزامات أو المفاهيم الكثيرة التي تنجم عن استخدام العامل "إنّما" في جملة "إنّما هو أخوك" وقد عرضنا لذلك فيما سبق وهي للتذكير:

---

[176]- Anscombre (J.C) : Dynamique du Sens et Scalarité. Colloque Cerisy, 1987, (éd)., Mardaga, p 135, « c'est sur de tels topoï que s'appuient les raisonnement ».

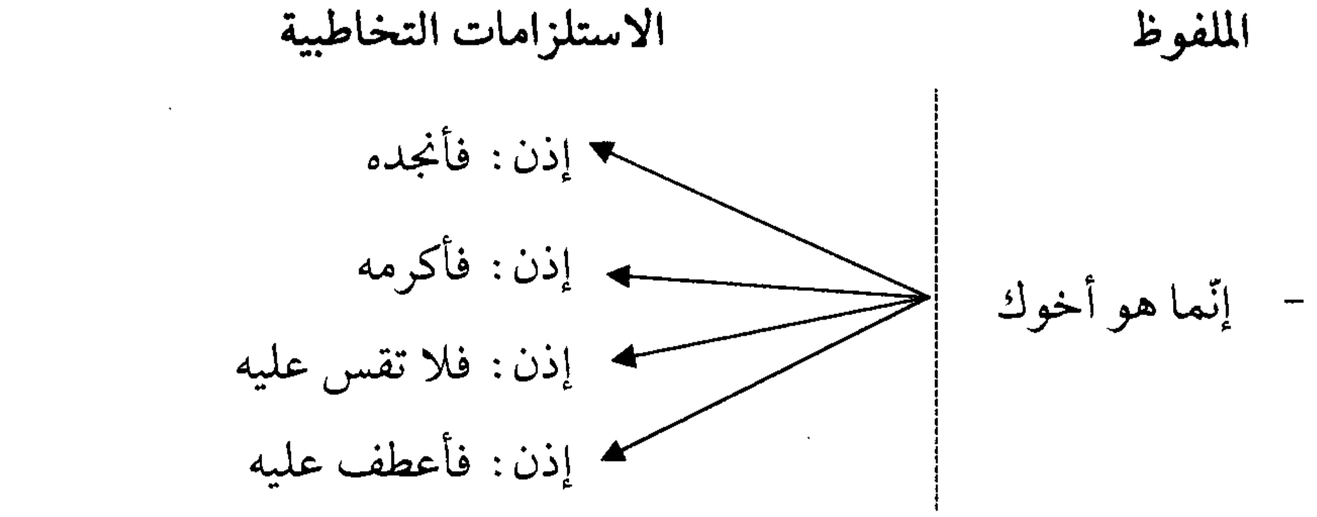

ونلاحظ أنّ اعتماد الموضع يحدّد الاستلزام أو المفهوم ويضبطه ويعيّنه فهو من هذه الناحية أكثر نجاعة من المقام نفسه في تحديد المفهوم من الملفوظ مثال :

❖ إنّما هو أخوك ⟵ المفهوم : أعن أخاك

↓

- الموضع : "والأخ يعين أخاه"

❖ إنّما هو أخوك ⟵ المفهوم : أنصر أخاك

↓

- الموضع : "والأخ ينصر أخاه"

إنّ العامل إذ يخرج الملفوظ من الإبلاغية إلى الحجاجية ومن الحيادية إلى الالتزام بمهمّة حجاجية يقدح الموضع وينشّطه وعلى هذا الموضع أن يحدّد المفهوم والاستلزام المقصود.

II. 2- العامل الحجاجي وإبطال الموضع *l'inhibition du topoï*: ما... سوى / إن... إلاّ / ما... إلاّ نموذجا:

ينطلق أنسكومبر في برهنته على تدخّل العامل في إبطال بعض المسارات المؤدّية، باعتبارها مواضع إلى بعض النتائج من مثال "الساعة الآن الثامنة" ثمّ يقحم عليه بعد ذلك العامل "إن... إلاّ" ليصبح "إن الساعة إلاّ الثامنة"[177].

1- الساعة الآن الثامنة.

يمكن أن تكون النتيجة من الملفوظ 1 "إذن أسرع" استنادا إلى موضعين هما:

موضع (1): كلّما كان أمامنا متّسع من الوقت أكبر أسرعنا أكثر (+ +).

موضع (2): كلّما كان أمامنا وقت أقل أسرعنا أكثر (- +).

كما يمكن أن تكون النتيجة من نفس الملفوظ المذكور أي الملفوظ 1- إذن لا تسرع استنادا إلى موضعين هما:

موضع (3): كلّما كان أمامنا وقت أقللنا السرعة (- -).

موضع (4): كلّما كان أمامنا وقت أكثر أقللنا السرعة (+ -).

وإذن فجميع المواضع جائزة وهي كلّها تمثّل مسارات مقبولة إلى النتيجة وعكسها وذلك على النحو التالي:

---

[177]- Anscombre (J.C): Dynamique du sens et scalarité, p 135 - 136.

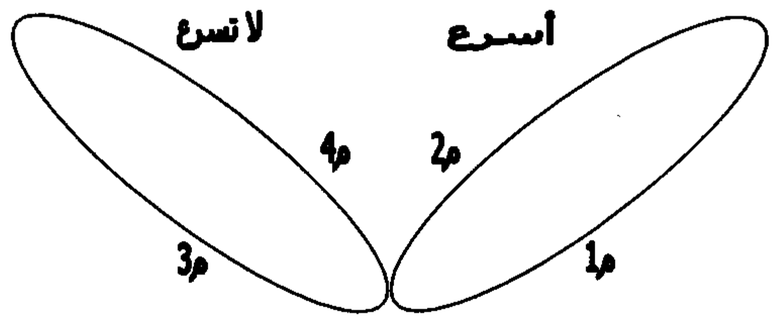

الملفوظ (1) : الساعة الآن الثامنة

فلننظر الآن في الأمر (1) وقد دخل على الملفوظ العامل الحجاجي "إن... إلاّ".

2- إن الساعة إلاّ الثامنة.

للوصول إلى النتيجة "أسرع" لا يمكن أن نعتمد سوى موضع واحدا هو الموضع (1) فيكون سليم قولنا مواصلين الكلام بعد الملفوظ بواسطة نتيجته وموضعه "إن هي إلاّ الثامنة فأسرع ذلك أنّه كلّما كان أمامنا وقت أكثر أسرعنا أكثر وذلك في حال الحثّ على ربح الوقت وغُنمه مثلا[178].

أمّا الموضع (2) فيبطل عمله بدخول عامل "إن... إلاّ" عليه إذ يكون لاحنا قولنا : "إن هي إلاّ الثامنة فأسرع ذلك أنّه كلّما كان أمامنا وقت أقلّ أسرعنا أكثر" فالموضع صحيح لكن تسلسل الخطاب خاطئ كما أنّه لبلوغ نتيجة "لا تسرع" لا يمكن أن نعتمد سوى موضع واحد هو الموضع (4) فيكون جائزا قولنا : "إن هي إلاّ الثامنة فلا تسرع ذلك أنّه كلّما كان أمامنا وقت أكثر أمكننا أن نتمهّل ولا نسرع" ويبطل الموضع (3) إذ لا يجوز أن نقول : "إن هي إلاّ

[178]- Moeschler (J) et Reboul (A): Dictionnaire Encyclopédique du pragmatique, p 318, (éd), du seuil, 1994.

الثامنة فلا تسرع ذلك أنّه كلّما كان أمامنا وقت أقل تمهّلنا" فيصبح الرسم على النحو التالي: حيث تفيد النقاط المقطّعة بطلان الموضع.

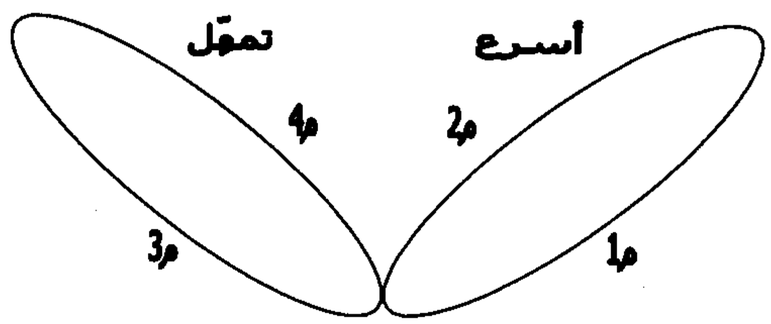

إن الساعة إلاّ الثامنة

يمكن أن نوضّح الأمر ونزيده وضوحا بمثال آخر أخذناه من مجلّة langue française عـ121ـدد بالصفحة 62 وحوّرناه قليلا وهو:

أ- فاطمة لا تستطيع رقن أكثر من خمسين كلمة في الدقيقة: لن يقع انتدابها.

ب- خديجة كشفت عن كفاية كبيرة في معالجتها للنصّ: يبدو أنّه سيقع انتدابها.

إنّ وجود عاملي النفي في الملفوظ "أ" وعامل الصفة في المثال "ب". قد أعطى للملفوظ مسلكا واحدا للوصول للنتيجة. ولكنّ هذا المسار الاستدلاليLe parcours inférenciel أو ما يسمّيه أنسكومبر وديكرو بالرسم الاستدلالي Schéma inférentiel لا تتحقّق إلاّ عبر الموضع التالي:

1- كلّما كان الراقن سريعا وجب انتدابه.

2- كلّما كان الراقن سريعا لا يصحّ انتدابه.

3- كلّما كان الراقن بطيئا وجب انتدابه.

4- كلّما كان الراقن بطيئا لا يصحّ انتدابه.

فالموضع (2- 3) فاسدان حجاجيا. لأنّهما لا يوصلان إلى نتيجة متواضع عليها بين الجمهور في حين أنّ الموضع 1 والموضع 4. يصحّان حجاجيا وبهما وصلنا إلى نتيجة "أ" التي وفّرها الموضع 4 ونتيجة "ب" التي قدحها الموضع 1. وما كانت هذه النتائج من الملافيظ لنتحصّل عليها لولا قدح العامل للموضع وإخراجه إيّاه من حيز التجريد المطلق إلى رسم المسلك الاستدلالي الذي ينبغي للمتقبّل اتّباعه للوصول إلى النتيجة. فعامل النفي "ne... que" في الملفوظ الأوّل هو الذي قدح الموضع "كلّما كان الراقن بطيئا لا يصحّ انتدابه" فتحصّلنا بذلك على بطلان تشغيل "فاطمة" في الملفوظ "أ". ومن هنا نفهم قول أنسكومبر عندما أقرّ بأنّ "العوامل الحجاجية لا تقيّد قسم الحجج لكنّها تحصر المسار الحجاجي الذي يمكّننا من بلوغها"[179]. ولمزيد البرهنة على مدى تحكّم العامل الحجاجي في المواضع نعود إلى مثال سابق كنّا وعدنا بالعودة إليه وهو "ثمن الحاسوب مائتا دينار" فللوصول منه إلى نتيجة "فاشتره" أو نتيجة "لا تشتره" رأينا جميعا مواضع صالحة للاستخدام وهي للتذكير:

---

[179]- Anscombre (J.C) : Op. cit, p 136, « Les opérateurs argumentatifs ne contraignent pas les classes des conclusions mais les trajets argumentatifs à l'atteindre ».

م1 : كلّما كان ثمن الشيء مرتفعا ازدادت الحاجة إلى شرائه ← (+ق +ك).

م2 : كلّما كان ثمن الشيء منخفضا ازدادت الحاجة إلى شرائه ← (- ق +ك).

م3 : كلّما كان ثمن الشيء منخفضا ضعفت الحاجة إلى شرائه ← (- ق- ك).

م4 : كلّما كان ثمن الشيء مرتفعا ضعفت الحاجة إلى شرائه ← (+ق - ك).

وحين ندخل على هذا المثال عاملا حجاجيا "ما... سوى" يصبح "ما ثمن هذا الحاسوب سوى مائتي دينار" وعلى هذا يصبح المسار الحجاجي في مثالنا على النحو التالي:

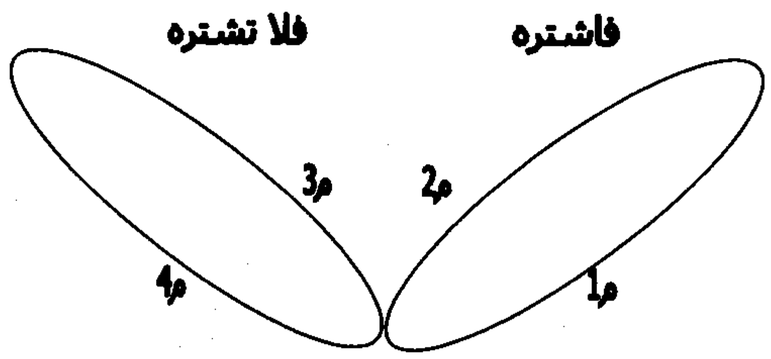

ما ثمن الحاسوب سوى مائتي دينار

وتظهر لنا عملية الاسترسال l'enchaînement في استخدام المواضع المذكورة رابطة بين الملفوظ والنتيجة كيف أنّ بعض المواضع لم تعد صالحة للاستعمال بدخول العامل على الملفوظ:

موضع (1): ما ثمن هذا الحاسوب سوى مائتي دينار فاشتره **لأنّه** كلّما كان ثمن الشيء مرتفعا ازدادت الحاجة إلى شرائه. ← (+ق +ك)

موضع (2): ما ثمن هذا الحاسوب سوى مائتي دينار فاشتره **لأنّه** كلّما كان ثمن الشيء منخفضا ازدادت الحاجة إلى شرائه. ← (- ق +ك)

موضع (3): ما ثمن هذا الحاسوب سوى مائتي دينار فلا تشتره **لأنّه** كلّما كان ثمن الشيء منخفضا ضعفت الحاجة إلى شرائه، استنادا إلى المثل الشعبي "إذا عجبك رخصه طيّش نصفه". ← (- ق - ك)

موضع (4) : ما ثمن هذا الحاسوب سوى مائتي دينار فلا تشتره **لأنّه** كلّما كان ثمن الشيء مرتفعا ضعفت الحاجة إلى شرائه. ← (+ق - ك)

❁ ❁ ❁

إنّ العامل الحجاجي باعتباره عنصرا لسانيا محضا غير قادر وحده من التضييق في الطاقة الحجاجية وتحديد النتيجة تحديدا صارما يتناسب وطبيعة الملفوظ والمعطيات الحافة به من ظروف وأعراف وإنّما القضاء على تعدّد الاستلزامات والتضييق والحدّ من الغموض الذي يقوم به العنصر اللساني ويطال المسلك التأويلي الذي يربط الحجّة بالنتيجة ربطا متواضعا عليه إنّما يكون كلّ هذا عبر المواضع المشتركة التي سمّيت مشتركة "لا لافتقارها للطرافة بل لقابليتها للاستعمال في سائر موضوعات الوجود"[180] ومن موضوعات الوجود الحجاج من هنا نلاحظ هذا التواشج والتوالج بين العامل

---

[180]- الريفي (هشام): أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلّية الآداب منّوبة، 1998؛ ص 196 - 197.

الحجاجي الذي لا يجب الاكتفاء به والموضع باعتباره مصفاة وعاملا رئيسا في ربط الحجّة بالنتيجة رغم أنّ العوامل اللسانية أيسر اكتشافا وهي ظاهرة للعيان في بنية الملفوظ. لذلك عرّفها موشلار وريبول بكونها "الآثار الظاهرة Les traces explicites في الخطاب"[181] ومن الأدلّة على ظهورها هي وظيفتها إذ أنّ هذه العوامل لا تقوم بعملية التوجيه مباشرة، وإنّما تحدّ من استعمال المواضع التي تمكّننا من إدراك النتائج[182].

ولو أردنا أنّ نلخّص التحوير الذي أدخله مفهوم الموضع على نظرية الحجاج عند ديكرو لقلنا إنّه لما كانت بعض التراكيب والأساليب تمثّل تعليمات وتوجيهات حجاجية منذ المستوى اللغوي فإنّ الجملة التي تنجز في مقام مخصوص هي كما يقول الأستاذ المبخوت "لا تفضي إلى نتيجة محدّدة إلاّ بالإحالة على موضع من المواضع"[183] ولو عدنا إلى تعريف العامل بعد تعديله بمفهوم الموضع لقلنا" إنّ العوامل الحجاجية بقدر ما لها من مزية في توجيه الملفوظ نحو النتيجة "ن" وذلك عبر قدح للمواضع L'activation de topoï الذي ينتج عنه القضاء على الاستلزامات التي لا تصلح وتقوية الاستلزام الذي يصلح لأن يظهر النتيجة... إلاّ أنّ هذه المزية لا تكتمل إلاّ

---

[181]- Moeschler (J) et Reboul (A) : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p 321-322éd.) 1 du seuil, 1994.

[182]- Moeschler (J) et Reboul (A) : Op. cit., p 320.

[183]- المبخوت (شكري): أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص383، جماعي: إشراف حمادي صمود، منشورات كلّية الآداب منوبة، 1998.

عبر الموضع الذي يقتضيه تسلسل الخطاب L'enchaînement du discours.

III خاتمة الفصل الثاني:

عرضنا في هذا الفصل لتعريف الموضع ثمّ تطرّقنا إلى أقسام المواضع فإذا هي على ضربين: المواضع بما هي أفكار عامّة والمواضع بماهي أشكال فارغة ورأينا كيف أنّها متى كانت أفكارا عامّة تستعمل كقوانين يرجع إليها المتكلّم خطابه وقد تكون بمثابة المسلّمات التي ينطلق منها لتأكيد حجّته وهي الضامن للمرور بين الحجّة والنتيجة وأنّها حتى تكون أشكالا فارغة إنّما يستغلّ الباث الجانب الشكليّ القوالبيّ فيها فيشحنها بما يشاء من الحجج وهي متى كانت أشكالا فارغة، أيضا، تذكّرنا ببعض البنى المنطقية لذلك نلاحظ أنّ جلّ من تعرّض لدراسة المواضع بماهي أشكال فارغة يصفها بكونها بنى منطقية خطابية ورأينا كيف أنّ ديكرو وأنسكومبر، بصريح لفظهما أقرّا بأنّهما حوّرا تحويرا طفيفا في المواضع وذلك عبر التقليبات البدائلية للرمزين (+ -) للحصول على أربعة أشكال موضعية. وقادنا هذا إلى الوقوف هنيهة لمحاولة البحث في مفهوم الحجاج في صيغته الجديدة مع ديكرو وأنسكومبر، أي بعد إدراج مفهوم الموضع ومقارنته بمفهوم الاستدلال inférence عند قرايس فإذا الفرق يكمن في قيام الاستدلال على السياق والحجاج على المواضع وهذه المقاربة الأخيرة هي ما جعلت بعضهم ينظر إلى الحجاج على أنّه ضرب من الاستدلال وهذا ما يرفضه ديكرو رفضا قاطعا.

بعد ذلك فرغنا للحديث عن مزية المواضع في الحجاج ومدى خضوعها لسلطان العامل الحجاجي فهو يقدحها في الملفوظ وبحضوره يثير الانتباه إليها فيه وهي إذ تنقدح تقود إلى النتيجة المرجوّة من ذلك الملفوظ.

إنّ العامل الحجاجي حينئذ يرسم المسار الحجاجي Le trajet argumentatif الضامن للوصول إلى النتيجة ولا تكون له هذه الوظيفة البنيوية إلاّ بعد أن يكون ثمّة موضع يؤيّد ويضمن نفس المسلك الحجاجي الرابط بين الحجّة والنتيجة وإن كانت هذه العلاقة، بين الحجّة والنتيجة يلزمها الموضع ضمنيا ويكشف عنها العامل تلفّظا وصراحة فهو "لا يضيّق من احتمالات المحاجّة المسجّلة في جملة من الجمل ولكنّه يقيّدها بمسارات تربط بين الحجّة والنتيجة... وبهذا يصبح العامل شبكة من المواضع التي تمثّل مسارات حجاجية ينبغي اتّباعها لبلوغ نتيجة ما"[184].

وتظهر وظيفة العامل في صيغته الجديدة في مزيد الحدّ والتضييق من النتائج فلا يترك منها إلاّ ما يوافق عليها الموضع لذلك اعتبر الأستاذ المبخوت 1998 المواضع مصفاة للنتيجة. في أيّ ملفوظ كان لذلك قال المبخوت وقد كنّا سقنا قوله في متن هذا الفصل "لما كانت بعض التراكيب والأساليب تمثّل تعليمات وتوجيهات حجاجية منذ المستوى اللغوي فإنّ الجملة التي تنجز في

---

[184]- المبخوت (شكري) : أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مؤلّف جماعي إشراف : حمادي صمود، ص 383، منشورات كلّية الآداب منّوبة، 1998.

مقام مخصوص لا تفضي إلى نتيجة محدّدة إلاّ بالإحالة على موضع من المواضع"[185].

[185]- المبخوت (شكري): المرجع السابق، ص 283.

الفصل الثالث:

العوامل الحجاجية وهيكلة الملفوظ

الحجاجي:

السلالم الحجاجية والمربّعات الحجاجية

I- العوامل الحجاجية والسلالم الحجاجية:

I.1- مفاهيم متعلّقة بالسلالم الحجاجية:

I.1.أ- مفهوم السلّمية:

كنّا تعرّضنا مرارا فيما مضى من البحث إلى أنّ الحجاج إنّما هو محض توجيه يخضع له الملفوظ وهذا التوجيه هو الضامن لتحقيق الملفوظ غايتَهُ الحجاجية وهي إذ عان المتقبّل وتسليمه وكنّا بينّا أنّ لهذا التوجيه عناصر وآليات خاصّة وهي العوامل. واللافت للانتباه أنّ بعض الدارسين المحدثين الذين يتّفقون مع ديكرو على أنّ الحجاج توجيه لم يبرهنوا على تجلّي وظهور هذا المنحى في اللغة ونقصد بذلك خاصّة جون كارون الذي أشار في مؤلّف له سبقت الإشارة إليه في مقدّمة هذا العمل إلى أنّ العوامل الخطابية تحقّق التوجيه الحجاجي[186] ورغم هذه الإشارة فإنّه لم يبيّن كيف يتمّ التوجيه وهل له من مراحل أو أسباب... إلخ. ومعلوم أنّ ديكرو وأنسكومبر اعتبرا الحجاج توجيها بمؤيّدات ومثبتات ذات طبيعة لسانية. وكان ذلك عبر نظرية السلالم الحجاجية التي خصّها ديكرو بمصنّف كامل هو كتاب "السلالم الحجاجية"[187] وفيه حاول ديكرو رسم ملامح نظرية السلّمية والتراتبية في اللغة وهو بذلك يبرهن على مقولة التوجيه الحجاجي وهيكله الملفوظ الحجاجي وذلك على

---

[186]- Caron (Jean) : Les régulations du discours, p 173, P.U.F., où il disait à propos des opérateurs discursifs : « Leur rôle n'est pas d'assurer un calcul sur des valeurs de vérité mais d'orienter in argumentation vers une certaine fin ».

[187]- Ducrot (O) : Les échelles argumentatives, (éd.) de Minuit, 1980, Paris.

مراحل يخضع لها الملفوظ عبر تقوية العامل لمداه وطاقته الحجاجية، ونودّ قبل الخوض في مفهوم السلالم الحجاجية وحجّيتها في البرهنة على أنّ الحجاج توجيه يكون بواسطة العوامل التي تقوّي الملفوظ ليأخذ درجة من السلم، أن نتعرّض إلى بعض المفاهيم الأساسية التي من أهمّها سلّمية اللغة والأقسام الحجاجية.

بناء على ما جاء في معجم ريبول وموشلار[188] نلاحظ أنّ السلّمية صفة ملازمة لعدّة ظواهر ولا سيما اللغة التي وُصِفَت بعض أنظمتها الدلالية والتداولية بكونها تراتبية سلمية لأنّها عولجت من خلال هذه الصفة وبها[189] ويعرّف موشلار السلّمية قائلا "وللتعريف نقول عن ظاهرة لسانية أو غيرها بكونها ذات خصائص سلمية إذا كان وصفها يستدعي على الأقلّ صلة علائقية متبادلة corrélat relationnel [بين لفظين مثلا] وتكون بينهما علاقة استلزامية. إنّ مجمل الصلات العلائقية المتبادلة [بين الألفاظ] تشكّل ما يسمّى بالسلّم Echelle يكون قائما على علاقة تراتبية بين الألفاظ مثال : [بارد ← فاتر ← ساخن ← حار]"[190].

والمفيد في هذا التعريف أنّ السلّمية صفة تقوم على العلاقة أي أنّ الظاهرة التي تقوم على السلّمية يحكم أطرافها والأجزاء المكوّنة لها علاقة تقوم على الاسترسال والاستلزام ولعلّ موشلار يقصد بالاستلزام أنّ درجات السلم يقتضي فيها وجود الضعيف القوي والأعلى الأسفل وهكذا دواليك،

---

[188]- Reboul (A) et Moeschler (J) : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p 277, (éd.) du Seuil, 1994.
[189]- Reboul (A) et Moeschler (J) : Op. cit., p 277.
[190]- Reboul (A) et Moeschler (J) : Op. cit., p 277.

والطريف في الأمر أنّ هذه السلّمية قائمة في اللغة بجميع مستوياتها أي الجهاز والإنجاز، اللغة والخطاب.

أ - 1/ سلمية المعجم: لئن بدت السلّمية على النحو الذي عالجها به ديكرو يكشفها الجانب التركيبي رغم عسر إدراكها فإنّها في المعجم تبدو أكثر وضوحا وحسبنا مثالا بعض النماذج التي قدّمها ديكرو في كتابه السلالم الحجاجية من قبيل الصفة التي تطلق للتعبير عن حالة الطقس (منعش، بارد، قارس) أو (دافئ، ساخن، حار) وقد يطال السلم الأرقام في تراتبها من الأصغر إلى الأكبر مثلما ضرب على ذلك ديكرو مثاله حول ثمن التذكرة[191] أو الكمّيات والمسوّرات (بضع، بعض، كل... إلخ) وأساس هذه السلّمية هي قيام المعجم على ضرب خاص من التقابل ونقصد بالتقابل ذلك الاسترسال في معاني المفردات على النحو التالي:

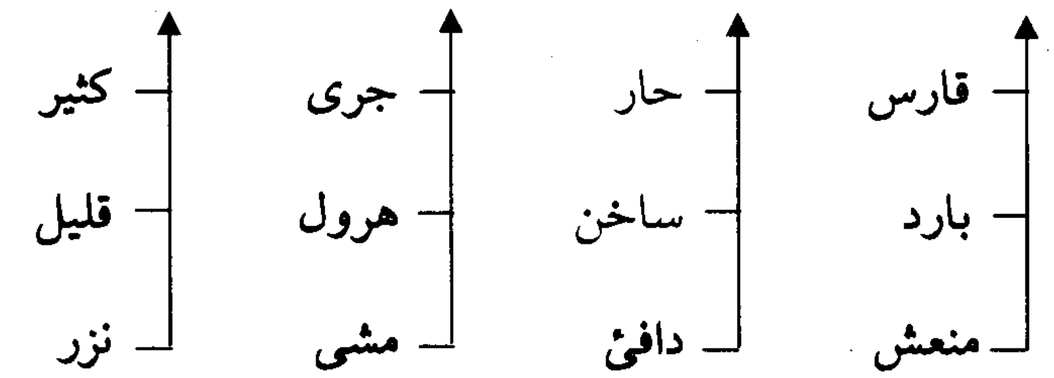

[191]- المثال الذي نقصده هو:

La place coût 30 Francs.
La place coût 20 Francs.
La place coût 10 Francs.

ولعلّ الصفات هي أكثر أقسام الكلام تعبيرا عن السلّمية في اللغة وذلك من خلال مسلمة قوامها أنّ كلّ كلمة محكومة بمظهرين حجاجيين أمّا المظهر الأوّل فهو المظهر المعياري l'aspect normatif وهو ما يوفّره الصرفم "إذن" من إمكانية تواصل واسترسال في الخطاب من قبيل "علي ذكي إذن ينجح". وأمّا المظهر الثاني فهو المظهر الانتهاكي l'aspect transgressif وهو مظهر يكشف عنه استرسال الخطاب بـ"رغم أنّ" من قبيل "الماء دافئ ورغم ذلك يمكن شرابه" أو "القهوة باردة ورغم ذلك مازالت لذيذة". والمفيد من كلّ هذا هو أنّ المعجم بأقسامه ومقولاته تحكمه سلمية تؤكّدها الوظيفة المرجعية للغة. ودليلنا على ذلك مثلا درجات الألوان واسترسالها فالثعالبي مثلا قد أحصى في اللون الأبيض أنماط عدّة وكذلك اللون الأسود... إلخ وليس الأمر ببعيد عن الحركة كذلك فأفعال الحركة من قبيل مشى، هرول، جرى...] تنمّ عن سلمية في الحركة في حدّ ذاتها وهذا ما قصدناه عند قولنا إنّ سلمية المعجم تؤكّدها الوظيفة المرجعية للغة. عكس سلمية الخطاب/ الإنجاز التي لا نكتشفها إلاّ بطريقة مغايرة وحسب عمليات منطقية كالاستلزام مثلا كما أقرّ بذلك موشلار وريبول. في حين أنّ سلمية المعجم مباشرة وكثيفة بحيث لا تحتاج لإدراكها إلى كدّ عقل أو روية وحسبنا مثالا الاتّجاه الجغرافي مثلا "المغرب الأقصى ← المغرب الأوسط ← المغرب الأدنى" أو الملاحظات التي تسند للطلبة في الامتحان "متوسط ← قريب من الحسن ← حسن ← حسن جدا]. وإن كنّا حريصين على أنّ الصفات أكثر الأقسام قياما على السلّمية وذلك للجانب التقويمي الذي تنهض عليه. ويمكن للمثال التالي توضيح الأمر أكثر .

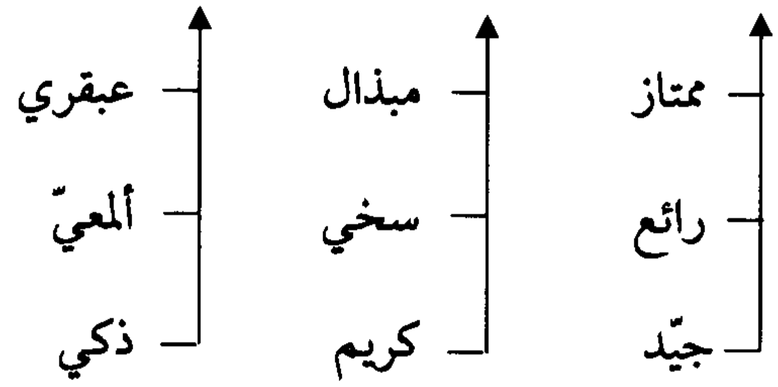

فالصفة التي تقع في أسفل السلم هي أقلّ صفات السلم حجاجية وأقلها قياما بعملية التوجيه الحجاجي في حين أنّ الصفة التي تقع في أعلى السلم هي الصفة الطراز التي تحتوي السمات المشتركة وغير المشتركة لما يكوّن السلم وبالتالي فهي أكثر مفردات السلم حجاجية.

أ- 2/ **سلمية الصرف:** إنّ السلّمية في اللغة كما أسلفنا الذكر كامنة في اللغة كجهاز بجميع مستوياتها ولا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ سلمية الجهاز تتجاوز المستوى المعجمي في ذاته إلى الجانب الصرفي التصريفي وحسبنا دليلا نظام الزيادة في المعجم وطريقة تكوّن المفردة في اللغة وذلك بالزيادة إليها. وكمثال على ذلك نضرب الأمثلة التالية:

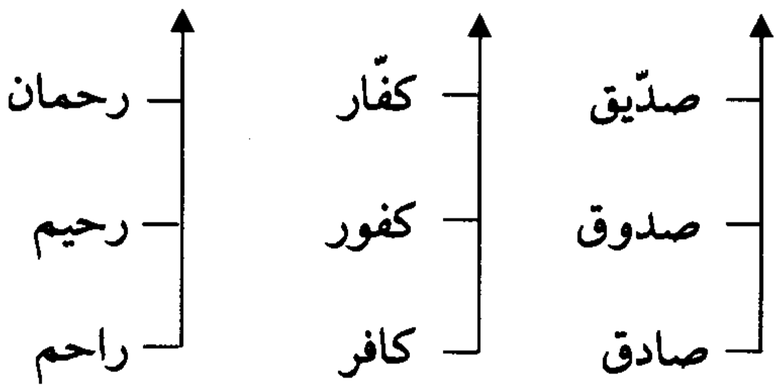

فالانتقال من صادق إلى صدوق ومن صدوق إلى صدّيق في ما نرى قد استدعته الوظيفة الحجاجية للغة وبالتالي رُقِيٌّ وقع الكلمة من خلال موقعها في السلّم الحجاجي إذ الانتقال من صيغة إلى أخرى، بما يقتضيه هذا الانتقال من زيادة، إنّما هو في الحقيقة انتقال من درجة إلى أخرى في السلّم.

والملاحظُ أنّ ما توفّره اللغة من صيغ صرفية من اسم الفاعل وأسماء التفضيل والصفة المشبّهة وصيغ المبالغة يؤكّد سلمية اللغة فاسم الفاعل أقلّ تعبيرا عن المعنى من الصفة المشبّهة التي تدلّ على ملازمة الموصوف للصفة وصيغة المبالغة أقوى منهما لاحتوائها على مقولة العدد والكثرة لذلك كانت عملية إنتاجها تقتضي زيادة خاصّة وذلك من خلال مقولة التضعيف والحركة الطويلة. وليس النظام الصيغي وحده يقوم على السلّمية بل إنّ الأمر يتجاوزه إلى نوعية الجموع في العربية (جمع قلّة، جمع الجمع، جمع كثرة) إلى أصناف الحركات قوة وضعفا.

ولئن كانت السلّمية في المعجم يفضحها المرجع والوظيفة المرجعية للغة فإنّ سلمية النظام الصرفي تكشفه المفردة في حدّ ذاتها في مستوى تكوّنها وذلك بزيادة بعض الصرافم إلى الجذع الذي تقع عليه الزيادة وكلّ زيادة تؤدّي إلى زيادة معنى جديد نصطلح عليه في بحثنا بتعميق approfondissement دلالة اللفظ في السلم. من ذلك مثلا زيادة الحركة الطويلة والتضعيف

للحصول على صيغة المبالغة لتحقيق معنى أقوى لا يحقّقه اسم الفاعل أو الصفة المشبّهة.

أ- 3/ سلمية النظام البلاغي: نقصد بسلمية النظام البلاغي ما يوفّره المكوّن البلاغي للملفوظ من قيمة مضافة عبر تلوّنات جهازه ليحتلّ درجة مهمّة من السلم الحجاجي وبالتالي يكون ذا طاقة حجاجية تدفع المتقبّل إلى الإذعان والتسليم.

والحقيقة أنّ سلمية النظام البلاغي ندركها بادئ الأمر من خلال درجتي الخطاب (حقيقة / مجاز) والمجاز في جدّ ذاته قائم على التراتبية وحسبنا دليلا أنواع التشابيه وأضرب الاستعارات وصروف الكنايات.

ويمكن أن نضرب مثالا على هذا بعدم قيام التشابيه رغم تنوّعها بنفس الدور والوظيفة الحجاجية في الملفوظ.

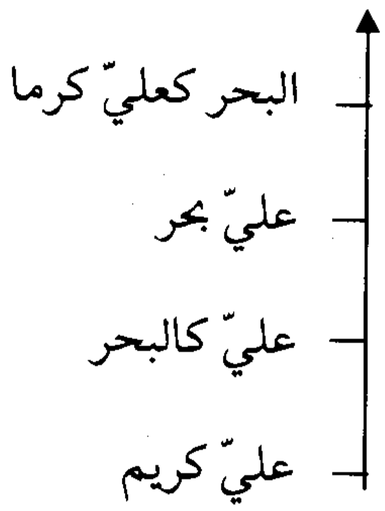

إنّ التشبيه المقلوب الذي يسبق فيه المشبّه به المشبّه يبدو لنا على كثافة دلالية تؤهّله لأن يكون في هرم السلم ولو أجيز لنا أن نضع أصناف التشابيه ضمن سلم من الأضعف إلى الأقوى لتحصّلنا على السلم التالي:

- التشبيه الضمني
- التشبيه التمثيلي
- التشبيه المقلوب
- التشبيه المجمل
- التشبيه المؤكّد
- التشبيه المفصل
- التشبيه التام (المستوفي لجميع أركانه)

إنّ قراءتنا للتشبيه على هذا النحو معيارها مدى خفاء المعنى وظهوره فالمعنى في التشبيه المفصّل مثلا أكثر جلاء منه في التشبيه الضمني أو التمثيلي. ومعلوم أنّ الحجاج هو لعبة المعنى بين الظهور والخفاء وأطرف الحجاج وأنجعه ما كان المعنى فيه يتراوح بين الظهور والخفاء. وشأن التشبيه كشأن الاستعارة. فهي على درجات من القوّة والضعف.

وكذا الشأن كذلك مع أصناف الخبر كما قسّمه القدامى إلى أصناف ثلاثة فالابتدائي وهو ما خلا من المؤكّدات يقع في قاعدة السلم في حين أنّ الخبر الطلبي هو ما قام على مؤكّد واحد أمّا الخبر

الإنكاري فهو ما قام على أكثر من مؤكّدين وعليه فإنّ قراءة القدامى للخبر على هذا النحو تؤهّلنا أن ندرسه، أي الخبر، ضمن سلمية اللغة فنتحصّل على الشكل التالي:

- الانكاري: والله لقد ضرب علي صالحا ضربا.
- الطلبي: والله ضرب علي صالحا.
- الابتدائي: ضرب علي صالحا.

إنّ هذه السلّمية الناجمة عن اللغة بجميع أنظمتها معجما وصرفا وبلاغة هي التي سيقع الانطلاق منها في تحديد سلمية الخطاب/ الإنجاز وينضاف إليها ما يوفّره التركيب وخصائصه من علائق خاصّة.

وصفوة القول أنّ سلمية اللغة مبثوثة في جميع أنظمتها يكمّل بعضها بعضا ولا سيما إذا أضيف عامل المقام أو وضعيات الخطاب فإنّها تساعدنا على اكتشاف هذه السلّمية علاوة على ما صرّح به أنسكومبر وديكرو من أنّ الوظيفة الأوّلية للغة هي الوظيفة الحجاجية ويقتضي إظهار هذه الوظيفة أن تكون اللغة سلمية تراتبية كيما تتفاضل الأقوال وتتمايز نجاعتها في استمالة المتقبّل وضمان تسليمه.

1.1. ب- مفهوم القسم الحجاجي:

الأقسام الحجاجية أو كما يصطلح عليها ديكرو بالاختصار (C.A)[192] عنصر مركز في نظرية السلالم الحجاجية لذلك يقتضي منّا هذا المفهوم

[192] - C.A: Est une abréviation de l'expression : classe d'arguments.

الوقوف عنده قبل البحث في ماهية السلم الحجاجي بل إنّ ديكرو نفسه في كتابه المذكور آنفا ومنذ شروعه في فصل السلالم الحجاجية يقرّ بأنّه "يجب الوقوف عنده لكونه مصطلحا مركزيا"[193] ويعرّف ديكرو القسم الحجاجي قائلا "إنّ المتكلّم، في وضعية خطاب محدّدة، يمكن أن يضع ملفوظين في قسم حجاجي واحد يفضي إلى نتيجة "ن" بشرط أن يكون الملفوظان يقودان ويخدمان نفس النتيجة "ن"[194] والمفهوم من كلام ديكرو هذا أنّ القسم الحجاجي هو مجموعة الملافيظ أو الأقوال التي تأخذ محلّ "ق1" في المعادلة الحجاجية وتقود هذه المجموعة من الحجج إلى نتيجة واحدة تثبتها وتؤكّدها. ويحسن بنا في هذا السياق التذكير بتعريف ديكرو للحجاج إذ يرى أنّ العملية الحجاجية تتلخّص لغويّا في أن يقدّم المتكلّم قولا أو مجموعة أقوال هي "ق1" يقود إلى "ق2" هو بمثابة النتيجة[195]. ويمكن أن نضرب مثالا أوّليا على الأقسام الحجاجية باعتبارها منتمية إلى مجال واحد ولا تكون الحجج فيه مستقاة من مجالات متعدّدة فلنتيجة مثل "اشرب القهوة" يمكن أن نصنع السلم التالي:

- فاشربها
- بل مازالت ساخنة
- إنّها دافئة
- إنّها ليست باردة

---

[193]- Ducrot (O) : OP. cit, p 17. « La première notion à définir est celle de classe argumentative (par abréviation (C.A) ».

[194]- Ducrot (O) : Op. cit, p 17.

[195]- Ducrot (O) et Anscombre (J.C) : L'argumentation dans la langue, p 8, (éd.) Mardaga, 1997.

ولو أجيز لنا تمثيل القسم الحجاجي من خلال ما قيل يمكن أن نلخّصه في الشكل التالي:

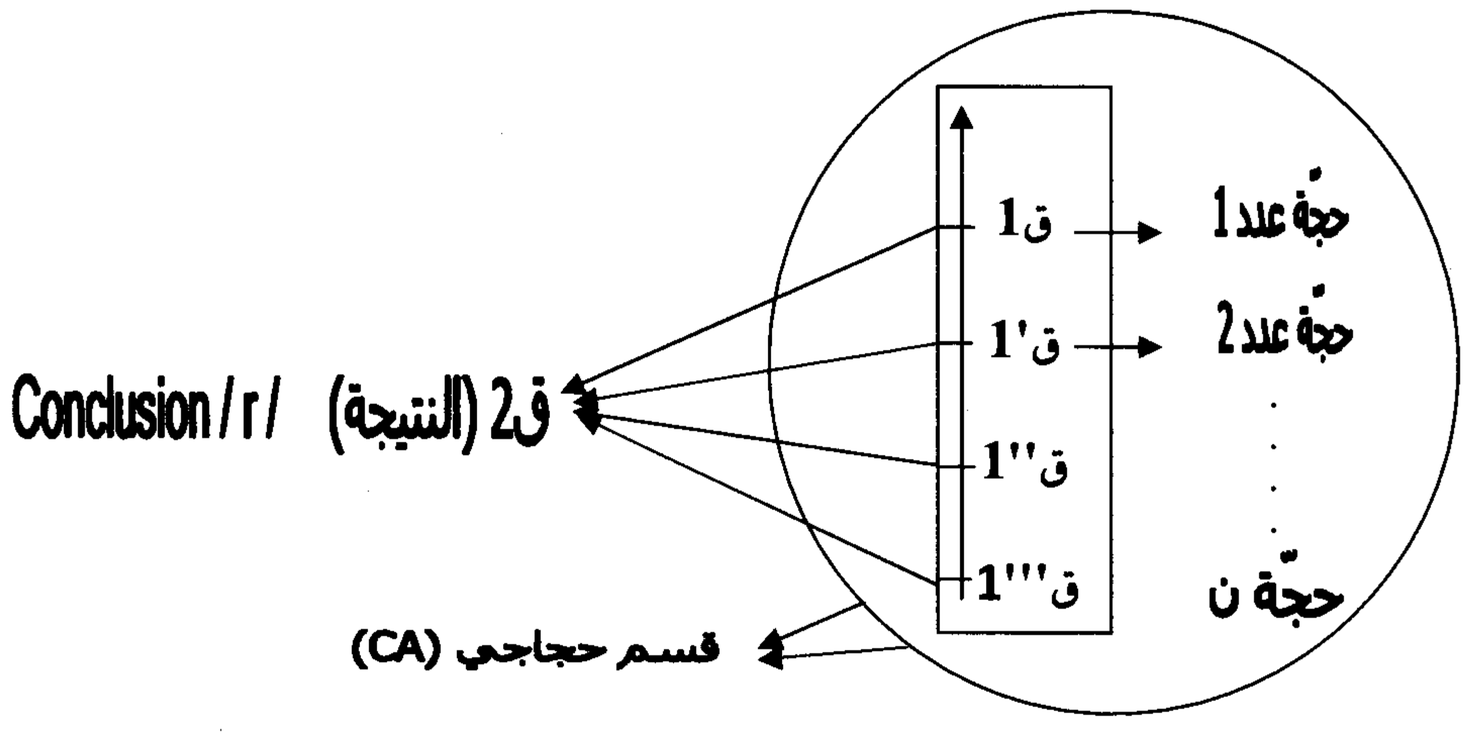

ف(ق1 + ق'1 + ق''1 + ق'''1) كلّها حجج بعضها يعضد بعضا في سبيل دفع المتقبّل إلى الإذعان والتسليم بـ"ق 2" أي النتيجة. ونودّ الإشارة قبل مزيد ضرب الأمثلة إلى أنّ تعدد الحجج، ضرورة ومنطقا، يقضي ترتيبها حسب معيار معيّن مثل قوّة الحجّة وضعفها ولأنّه ليس من العادي ولا المعقول البتّة أن تتساوى الحجج وإلاّ لما تعدّدت.

وهذا الترتيب يكون للعامل الحجاجي فيه دور حاسم مع مراعاة موضوع المحادثة والغايات منها مع مقتضيات المقام، ففي الحديث عن عدم قابلية الطعام للأكل يُقال مثلا هو "بارد، بل مثلّج" لا العكس وفي الحديث عن مدى برودة الماء المستحبّة صيفا يقال مثلا هنا "الماء بارد بل مثلّج" لا العكس. وبقدر ما تكون النتيجة في الملفوظ الأوّل منفّرة تكون في الملفوظ الثاني مرغّبة

ومن هذا اتّخذ السلم الحجاجي مشروعيته ونجاعته إذ تعدّد الحجج وتعدّد المقامات مدعاة للترتيب والسلّمية. وترتيب الحجج وسلميتها يعضده ما للملفوظ من طاقة على الظفر بالنتيجة، ولا يكون هذا إلاّ بما يوفّره العامل من حسن التوجيه للملفوظ وهذا ما قصده موشلار وريبول عندما قالا "إنّ الحجج التي تنتمي إلى قسم حجاجي واحد إنّما تحكمها علاقة الرتبة بعضها قوي وبعضها ضعيف"[196] وللبرهنة على هذا الكلام نورد المثال التالي*:

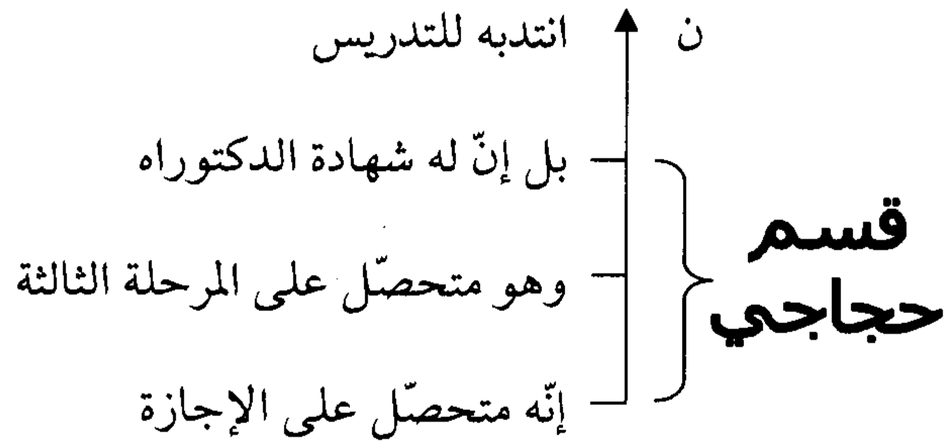

إنّ مجموعة الأقوال المذكورة آنفا، وهي لا تتعارض أبدا، سيقت ليثبّت بعضُها بعضًا وهي على قدر تعدّدها إنّما تفضي إلى نتيجة واحدة يطالب الباث سامعه من خلالها بالإذعان لها. لذلك قال موشلار وريبول "إنّ مفهوم القسم الحجاجي يشدّه قطبان هما النتيجة من جهة والباث من جهة أخرى"[197] ولعلّ مفهوم القسم الحجاجي بما يحتويه من حجج غير متساوية في القيمة الحجاجية هو الذي استدعى نظرية السلالم الحجاجية كجزء متمّم للحدث الحجاجي إذ تعدّد الحجج وتوحّد نتيجتها وعلاقة الباث بالنتيجة...

---

[196]- Reboul (A) et Moeschler (J) : Op. cit., p 281.

*- المثال مأخوذ من ديكرو.

[197]- المرجع السابق، ص 281.

كلّ هذه العناصر استدعت من ديكرو أن يتمّها بضرب من التصوّر التراتبي السلمي إذ الحجج ليست على نفس القدر من الأهمّية والتأثير وليست على نفس القدر والكفاية من إتمام الحدث التوجيهي وذلك، طبعا، من جراء العامل الحجاجي، ففي المثال السابق لا يجوز أن نقول إنّه متحصّل على الدكتوراه وحتى على الإجازة فانتدبه اللهمّ إلاّ إذا كانت الإجازة المتحصّل عليها في اختصاص غير الذي تعلقت به الدكتوراه ولذلك حتى يستقيم الملفوظ يجب أن ننعت هذه الإجازة فنقول مثلا "هو متحصّل على الدكتوراه في الكيمياء وحتى على الإجازة في الجغرافيا". ولهذا وُجدت السلّمية في سبيل مَقوَلَةِ وتنظيم الخطاب وفهمه على درجات وإن كان القدامى من أهل المعاني قد تفطّنوا إلى هذه الظاهرة. وخاصّة عند دراستهم لضروب الخبر كما أشرنا فيما تقدّم.

I.2- العوامل الحجاجية ودورها في إنشاء السلالم الحجاجية: "حتّى" و"بل" و"الواو" نموذجا:

أ- "حتّى" نموذجا:

يقرّ موشلار وريبول بإنّ الخاصّية الأساسية للعلائق الحجاجية هي أن تكون سلمية وتراتبية[198] وسبب نعتها بهذه الصفة إنّما هو ما يوفّرهُ العامل الحجاجي من تقوية renforcement للحجّة حتى يجعلها غير متساوية قوّة وضعفا تأثيرا وإقناعا وبالتالي يكون العامل الحجاجي هو المحرّك للعلائق

[198]- Reboul (A) et Moeschler (J) : Op. cit., p 88.

الحجاجية داخل الملفوظ في ذاته وداخل القسم الحجاجي حتى ينزل الملفوظ في درجته الحقيقية من السلم الحجاجي فيكون أقرب تحقيقا للمفهوم والنتيجة ولبيان هذا الأمر يمكن دراسة الأمثلة التالية :

- مات الناس حتى الأنبياء
- كلّ إنسان خطّاء حتى العلماء

فالعامل "حتى" في الملفوظ يساعد على تقوية إيقان المتقبّل بالنتيجة بل إنّ العامل قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الذي ينبغي عليه أن يقطعه للوصول إلى النتيجة وهو في أثناء ذلك كلّه يقوّي النتيجة التي يروم الملفوظ إيصالها وعليه فإنّ السلّمية يفضحها العامل في حدّ ذاته لذلك قال ابن يعيش في دراسته لـ"حتى" و"حتى الواجب فيها أن يكون ما يعطف بها جزءا من المعطوف عليه إمّا أفضله كقولك مات الناس حتى الأنبياء أو أدونه كقولك قدم الحجيج حتى المشاة"[199] والمحصّل من قول ابن يعيش هو مقولة الجزئية أي أنّ ما يسبق "حتى" وما يليها يجب أن تحكمه علاقة الجزء بالكلّ وهنا يظهر مفهوم السلّمية فما يأتى قبلها أضعف أثرا في إيصال النتيجة في حين أنّ ما يليها أقوى نجاعة في الحجاج وكلّ هذا من جرّاء أنّ الجزء أكثر إقناعا، لدقّته، من الكلّ وأنّ العام، لغموضه، أقلّ نجاعة من الخاص :

[199]- ابن يعيش (موفق الدين) : شرح المفصل، ص 96، ج 8، دار صادر، د ت.

*مات الناس حتـــــى الأنبياء

↓ ↓

كل جزء

↓ ↓

عام خاص

↓ ↓

أسفل السلم هرم السلم

وفي باب التأكيد على دور "حتى" في البرهنة على سلمية اللغة وقدرتها على تجسيد هرميتها نفهم ما قاله ابن يعيش من زاوية نظر أخرى إذ يقول "ولها في العطف شروط أحدها أن يكون ما بعدها من جنس ما قبلها*... وأن يكون فيه تحقير أو تعظيم"[200] وإنّ قوله "فيه تحقير أو تعظيم" يمكن فهمه على أنّه مظهر من مظاهر السلّمية في اللغة فما يوجد قبل "حتى" يمكن اعتباره حجّة أولى وما يوجد بعد "حتّى" حجّة ثانية لكن الفرق بينهما أنّ الحجّة الثانية وبعبارة ابن يعيش المعطوف يكون أقوى أثرا في التوجيه الحجاجي من الحجّة الأولى لاشتماله على حُكْم قيمة سلبي أو إيجابي ويمكن للتمثيل التالي توضيح الأمر أكثر:

---

*- يمكن فهم كلام ابن يعيش عند قوله "أن يكون ما بعدها من جنس ما قبلها" على أنّ الملفوظ السابق لحتى والذي يليها ينتميان لقسم حجاجي واحد.

[200]- ابن يعيش (موفق الدين) : المرجع السابق، ص 96.

* كلّ إنسان خطّاء حتى العلماء
↓ ↓
حجّة 1 حجّة 2
↓ ↓
معطوف عليه معطوف
↓ ↓
عام / كل خاص / جزء

وتظهر عملية التقوية للحجّة renforcement في حركة التوجيه الذي تقوم به "حتى" في إخراج الملفوظ من العام إلى الخاص ومن الكلّ إلى الجزء وفي هذا التمشّي رفع للغموض وتعدّد المفاهيم، أليس من وظائف العامل الحجاجي القضاء على الغموض وحصر النتيجة حصرا؟

إنّ السلّمية في الخطاب التي يحقّقها التركيب المتضمّن للعامل "حتّى" تكشفه، إلى ذلك، الوحدات المعجمية التي تسبق العامل والتي تليه وإن كان واضحا أنّ الذي يلي "حتّى" أقوى حجّية وأكثر توجيها نحو النتيجة وبعبارة أخرى يكون محلّه في أعلى السلم وكثيرة هي الصرافم التي تضارع "حتّى" في البرهنة على سلمية اللغة من قبيل "لكن" و"بل" اللتين سنتعرّض لهما فيما سيأتي من العمل وإن كنّا قد بيّنا فيما مضى أنّ السلّمية يكشفها المعجم بادئ الأمر ما دام الحجاج أوّل ما يكون "بالألفاظ وطاقتها الحجاجية هي التي

تصنع المدى الحجاجي[201] بأكمله. لا سيما وأنّ اللغة كلّها تقوم على السلّمية كما ألحّ على ذلك أنسكومبر[202].

وعلى هذه الشاكلة تقريبا درس موشلار وريبول الصرفم "même"[203] من خلال قراءتهما لديكرو. إذ يعتبران الملفوظ ذا قوّة حجاجية. يوفّرها الصرفم "حتى" وذلك أنّ هذا الصرفم يساهم في تقطيع الملفوظ إلى مقطعين séquences.

لكلّ منها درجة في السلم الحجاجي. ويمكنه تمثيله كالآتي:

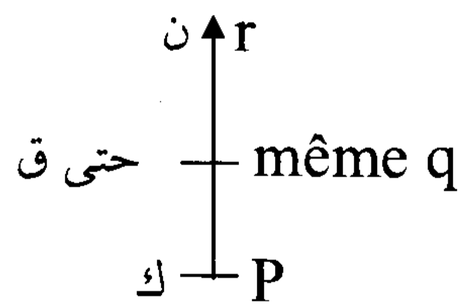

بشرط أن يكون الملفوظ "حتى ق" أقوى حجاجيا من "ك". وذلك لعلاقة الرتبة المنطقية أو الاستلزامية التي تجمعهما. غير أنّه تجدر الإشارة إلى وجوب التفطّن إلى بعض الاختلافات الرقيقة بين الصرافم مثلما أشار إلى ذلك موشلار وريبول. إلى الفرق بين الصرفمين "même" و"surtout". والمحصّل من كلامه أنّ الفارق بين الصرفمين في العمل الحجاجي ودورهما في

---

[201]- Ducrot (O) : Le dire et le dit, p 149, (éd.), Minuit, 1984.

[202]- انظر أنسكومبر، في 1987، ص 132- 133. وأنسكومبر في 2002، ص 116.

[203] - Moeschler (Jacques) et Reboul (Anne): Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p 282, (éd.) du Seuil, 1994.

إنشاء السلالم الحجاجية يكشفه رائز وحيد وهو المفهوم الذي ينتجه كلا الصرفمين في الملفوظ رغم تقاربهما في المعنى[204].

ب- "بل" نموذجا:

نودّ قبل البرهنة على مساهمة الصرفم "بل" في إنشاء السلالم الحجاجية بعد أن كنّا فرغنا من الصرفم "حتى" أن نقدّم لدراسته بمزيد التعمّق في مفهوم السلالم الحجاجية وحدث التوجيه الحجاجي. لا سيما وأنّ الصرفمين "حتى" و"بل" لا يشتغلان بنفس الطريقة. وإن اشتركا في التوجيه الحجاجي وإنشاء السلالم الحجاجية. لكن كلّ على شاكلته في إنشاء السلالم الحجاجية والبرهنة على سلّمية اللغة وحجاجيتها من نواحي مختلفة.

يقرّ ديكرو قبل خوضه في تعريف السلم الحجاجي أنّ الفروق بين الحجج وتراتبها ضمن القسم الحجاجي الواحد هو الذي اضطرّه إلى إدماج مفهوم السلم الحجاجي كرائز به يميّز ضعيف الحجج من قويّها[205] وأقدرها على الإيصال إلى النتيجة بأيسر السبل وأقلّها تأويلا، ويعرّف ديكرو السلم الحجاجي صراحة من خلال القسم الحجاجي إذ يقول "نسمّي القسم

---

[204]- لمزيد التعمّق في الفرق بين الصرفمين يمكن العودة إلى المعجم المذكور أعلاه حيث درس موشلار وريبول الفرق بين الملفوظين التاليين وهما:

- En France, Les femmes sont belles, surtout à Paris.
- En France, les femmes sont belles, même à Paris.

[205]- Ducrot (O) : Les échelles argumentatives, p 17, (éd.), Minuit, 1980.

الحجاجي الذي يقوم على علاقة تراتبية سلّما حجاجيا واختصاره هو "س.ح" ونمثّله في الشكل التالي "[206]:

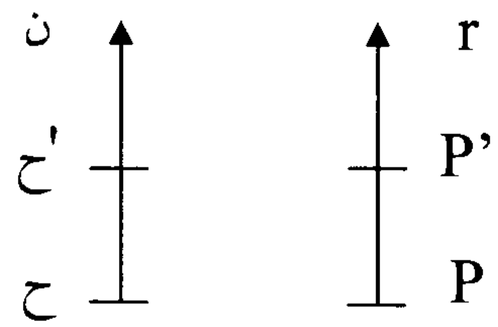

وقبل هذا التعريف الموجز يصف ديكرو علاقة الحجّتين بالنتيجة وذلك عندما يقرّ بأنّ "ح" أقوى حجاجيا في الوصول إلى "ن" وأيسر إقناعا بها من "ح" فكلاهما موصل إلى النتيجة لكن ليس بنفس الطاقة الحجاجية. فالحجّة الأولى في قاعدة السلم مساعدة للثانية بل إنّها أصل لها ومنطلق ومدعاة للأخذ بها وللتمثيل لعلاقة الحجج في السلم بالنتيجة ونجاعة بعضها في سرعة الظفر بالنتيجة نورد الشكل التالي :

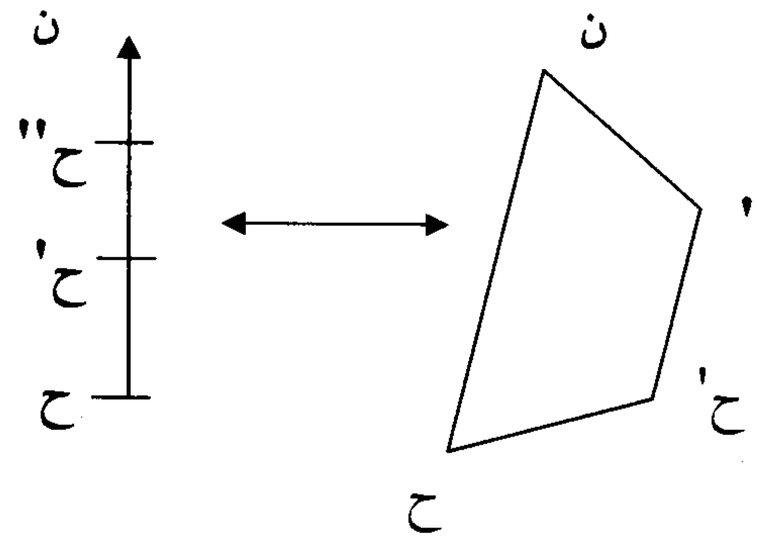

[206]- Ducrot (O) : Les échelles argumentatives, p 18, (éd.), Minuit, 1980.

ولو مثّلنا ذلك بقيس المسافة التي يقطعها المتقبّل عرفانيا للظفر بالنتيجة لكانت المسافات كالآتي:

[ح، ن] < [ح'، ن] < [ح"، ن]

لأنّه بقدر ما تكون الحجّة أقرب إلى رأس الهرم أي قمّة السلم أي إلى النتيجة تكون أنجع وأوقع في نفس المتقبّل والعكس صحيح أيضا أي أنّه كلّما كانت الحجّة أقرب إلى القاعدة في السلم كانت أقلّ حجاجية وأقلّ تأثيرا في المتقبّل.

ويمكن أن نضرب أمثلة بواسطة "بل". إنّ النحاة العرب مجموعون تقريبا على أنّ "بل" للإضراب أمّا الإضراب الإبطالي أو الإضراب الانتقالي. وفي كلتا الحالتين تكون "بل" رابطة بين حجّتين لا تكونان منتميتين إلى قسم حجاجي والحال أنّه في استعمالات القرآن ما ينافي ذلك كما سنرى بحيث تكون "بل" كما يقول ابن عاشور للإضراب المفيد الارتقاء.

ولذلك أيضا قال ابن هشام عند دراسته لـ"بل" حرف إضراب فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب إمّا الإبطال نحو "وقالوا اتّخذ الرحمان ولدا سبحانه بل عباد مكرمون" أي بل هم عباد ونحو "أم يقولون به جنّة بل جاءهم بالحقّ" وإمَّا الانتقال من غرضٍ إلى آخر ووهم ابن مالك إذ زعم في شرح كافيته أنّها لا تقع في التنزيل إلاّ على هذا الوجه ومثاله "قد أفلح من

تزكّى وذكر اسم ربّه فصلّى بل تؤثرون الحياة الدنيا"[207]. والمفيد من كلام ابن هشام هذا هو دلالة بل "على الانتقال من غرض إلى آخر" وبعبارتنا من حجّة إلى حجّة أقوى منها. أليس الحجاج في حدّ من حدوده توجيها وانتقالا من درجة إلى درجة أرقى في السلم وهذا ما يتّفق مع دلالة هذا الصرفم على الإضراب والإبطال. فالانتقال في جوهره حركة إبطال لما يسبق الصرفم لإثبات ما يليه من ذلك المثال الذي أورده ابن هشام "وقالوا اتّخذ الرحمان ولدا بل عباد مكرمون" حيث "تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه"[208] ذلك لأنّه غير ناجع حجاجيا وتُثبت ما يليها لشدّة قربه من المفهوم أو لأنّه الأحرى بتوصيل هذا المفهوم.

ويؤيّد رأي ابن هشام ما قاله ابن يعيش في شرح المفصّل في فصل "لا وبل ولكن يكون ما بعدها مخالفا لما قبلها"[209] إذ يقول "وأمّا بل فللإضراب عن الأوَّل وإثبات الحكم للثاني سواء كان ذلك الحكم إيجابا أو سلبا. تقول في الإيجاب قام زيد بل عمرو وتقول في النفي ما قام زيد بل عمرو وكأنّك أردت الإخبار عن عمر فغلطت وسبق لسانك إلى ذكر زيد فأتيت ببل مضربًا عن زيد ومثبتًا ذلك الحكم لعمرو"[210]. والمحصّل من كلام الرجلين، ابن يعيش وابن هشام، أنّ "بل" تساهم في إنشاء السلم الحجاجي بذلك النفي لما يسبقها

---

[207]- ابن هشام (أبو محمد عبد الله): مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ج I، ص 112، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار أحياء التراث العربي، د. ت.

[208]- المرجع السابق : ص 112.

[209]- ابن يعيش (ابن علي): شرح المفصل، ج 8، ص 104، إدارة الطباعة المنيرية، د. ت.

[210]- ابن يعيش: المرجع السابق، ص 105.

وهو درجة أولى في السلّم. والإثبات لما يليها وهو أرقى درجة في الحجاج لما لهُ من قيمة إقناعية.

وعلى عكس هذا المعنى جاء قوله تعالى: "قل لا يعلم مَن في السماوات والأرض الغيب إلاّ الله وما يشعرون إيّان يبعثون بل إدّارك علمهم في الآخرة بل هم في شكّ منها بل هم منها عمون"[211].

التي قال ابن عاشور فيها "وبل للإضراب الانتقالي من الإخبار عنهم بـ"ما يشعرون إيّان يبعثون" وهو ارتقاء إلى ماهو أغرب وأشدّ ارتقاء من تعييرهم بعدم شعورهم بوقت بعثهم إلى وصف عملهم بالآخرة التي البعث من أوّل أحوالها وهو الواسطة بينها وبين الدنيا بأنّه علم متدارك أو مدرك"[212] والمركزي في كلام ابن عاشور هو تفسير الإضراب بكونه انتقالاً وارتقاءً وفي الانتقال والارتقاء سلّمية بلا ريب. ويمكن تقسيم الآية إلى حجج صغرى لفهم عملية الانتقال والارتقاء: فنحصل على الشكل التالي:

ق1 : ما يشعرون أيّان يبعثون

ق2 : بل إدراك علمهم في الآخرة

ق3 : بل هم في شكّ منها

ق4 : بل هم منها عمون

ونلاحظ الارتقاء في الانتقال من "ق2" إلى "ق3" أي من وصف علمهم بالآخرة إلى وصفهم بالشكّ في البعث وفي "ق3" قال ابن عاشور "وأمّا جملة

211- سورة النمل، الآيتين 65 / 66.

212- ابن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 20، ط الدار التونسية للنشر، د.ت.

"بل هم في شكّ منها" فهو إضراب انتقال للارتقاء من كونهم اضطرب علمهم في الآخرة أو تقلّد خلفهم ما لقّنه سلفهم أو مِن أنّهم انتفى علمهم في الآخرة إلى أنّ ذلك الاضطراب في العلم قد أثار فيهم شكّ من وقوع الآخرة"[213]، وتظهر السلّمية والارتقاء في العلاقة بين "العلم المضطرب" و"الشكّ" وكلاهما في درجتين متقاربتين. وليس أرقى من الشكّ إلاّ الجهل المحض أو العمى لذلك قال في "ق4" "بل هم منها عمون" التي قال فيها ابن عاشور وجملة "بل هم منها عمون" ارتقاء ثالث وهو آخر درجات الارتقاء في إثبات ضلالهم وهو أنّهم عميان في شأن الآخرة"[214] وعليه يمكن رسم السلّم التالي لفهم بعض ما يقدّمه الملفوظ من خلال درجات العلم وتفسير ابن عاشور:

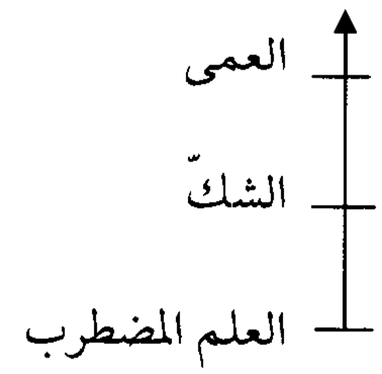

ويقول الشيخ ابن عاشور في قراءة تأليفية للملافيظ الثلاثة "وترتيب هذه الإضرابات الثلاثة ترتيب لتنزيل أحوالهم، فوصفوا أوّلا بأنّهم لا يشعرون بوقت البعث. ثمّ بأنّهم تلقفوا في شأن الآخرة التي البعث من شؤونها علمًا مضطربًا أو جهلاً فخبطوا في شكّ ومرية فأعقبهم عمى وضلالة بحيث أنّ

213- ابن عاشور (محمد الطاهر): المرجع السابق، ص 22.

214- ابن عاشور (محمد الطاهر): المرجع نفسه، ص 23.

هذه الانتقالات مندرجة متصاعدة حتى لو قيل : بل إدارك علمهم في الآخرة فهم في شكّ منها فهم منها عمون لحصل المراد ولكن جاءت طريقة التدرّج بالإضراب الانتقالي أجزل وأبهج وأروع"[215] ولو لخّصنا كلام الشيخ وطريقة تفسيره للآية لجاز لنا رسمها على السلّم التالي ويكون بذلك السلّم الحجاجي كافيا لفهم الآية.

ونضرب مثالا آخر قريبا من خطابنا اليومي :

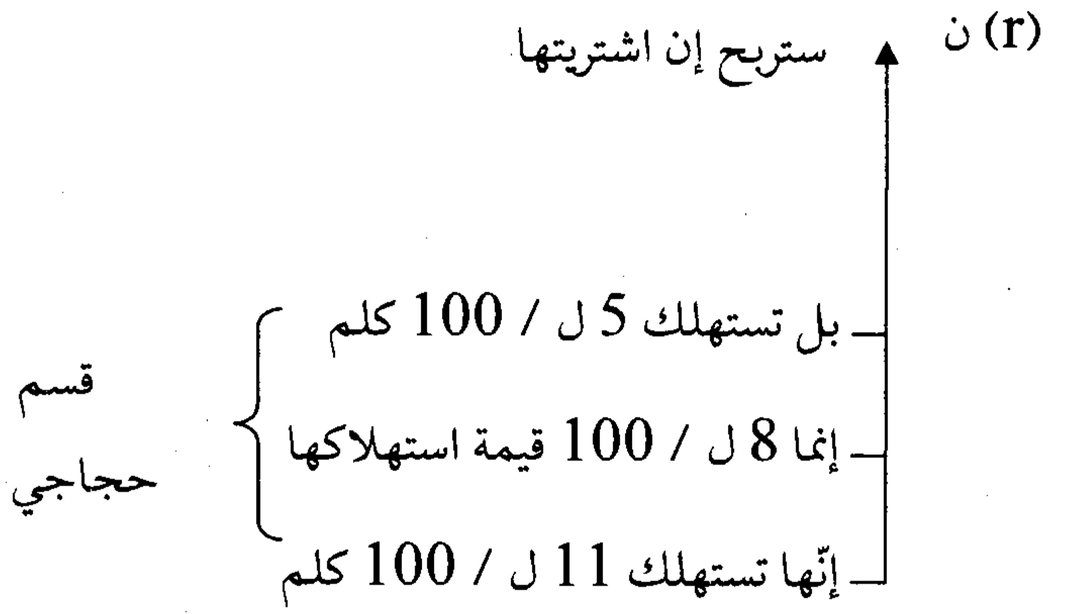

إنّ الملافيظ الثلاثة المكوّنة للقسم الحجاجي ليصدق عليها قول موشلار وريبول في معجمهما الموسوعي للتداولية "حين تكون ثمّة علاقة رتبة أو قوّة

---

[215]- ابن عاشور (محمد الطاهر) : المرجع السابق، ج 20، ص 23.

داخل القسم الحجاجي نقول إنّ الحجج تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي... فالسلم الحجاجي إذن هو قسم حجاجي موجّه"[216] والمهمّ من تعريف ريبول وموشلار للسلم الحجاجي من خلال القسم الحجاجي ليس علاقة الرتبة بين الحجج وقوّتها فهذا من المحصّل والبديهيّ وإنّما المهمّ من كلّ هذا هو قولهما قسم حجاجي موجّه Classe argumentative orientée والتوجيه يقتضي موجّها إليه أي النتيجة "ن" لذلك كانت منطلقات نظرية السلالم الحجاجية "إقرار التلازم بين عمل المحاجة بين القول الحجّة "ق" والنتيجة "ن" ومعنى التلازم هنا هو أنّ الحجّة لا تكون حجّة بالنسبة إلى المتكلّم إلاّ بإضافتها إلى النتيجة"[217] فلا معنى لقولنا "إنّ السيارة تستهلك 7 أو 6 أو 5 لترات في المائة كيلومتر "إذا لم تكن مقيّدة بنتيجة هي الشراء أو عدمه أو الربح أو الخسارة فالنتيجة، حينئذ، وهي في رأس الهرم هي المتحكّمة في ترتيب الحجج وتنظيمها وللبرهنة على ذلك يمكن تغيير النتيجة أعلاه حتى نتحصّل على السلم الحجاجي التالي:

[216]- Reboul (A) et Moeschler (J): Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p 281, (éd.) du Seuil, 1994, « lorsque une relation d'ordre ou de force intervient à l'intérieur d'une classe argumentative on dira que les arguments appartiennent à la même échelle argumentative, une échelle argumentative est donc une classe argumentative orientée ».

[217]- المبخوت (شكري) : نظرية الحجاج في اللغة، ضمن مؤلّف "أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، مؤلّف جماعي، إشراف حمادي صمود، منشورات كلّية الآداب منّوبة، 1998، ص 363.

ن : ستخسر إن اشتريتها

بل تستهلك11 ل / 100 كلم

إنّما استهلاكها 8 ل/ 100 كلم

إنّها تستهلك 5 ل / 100 كلم

وعليه فإنّ ريبول وموشلار عندما عرفا التوجيه الحجاجي إنّما عرفاه من خلال النتيجة ومدى انطباق الملفوظ عليها وإيصاله إليها فقالا "إنّ التوجيه الحجاجي هو الاتّجاه الذي يأخذه الملفوظ في سبيل الوصول إلى قسم من النتائج"[218] والذي يظهر عملية التوجيه، ويعطي للملفوظ الحجّة مكانها من السلم، ويسوّغ لها أن تكون مفضية إلى النتيجة، إنّما هو العامل الحجاجي وإن كان ديكرو قد أقرّ ضمنيا بسلطة المعجم عندما ضرب مثالا على السلالم الحجاجية التي توفّرها مقولة الصفة وذلك من خلال درجة الحرارة[219]. ويمكن تبيّن دور العامل في إعطاء الحجّة مكانها في السلم من خلال المثالين التاليين :

---

[218]- Reboul (A) et Moeschler (J): Op. cit., p 315, où il disaient : « L'orientation argumentative est la direction donnée a l'énoncé dans le but d'atteindre telle ou telle classe de conclusions ».

[219]- المثال الذي ضربه ديكرو هو:

R

il fait glacial

il fait froid

il fait frais

ن

الطقس قارس

الطقس بارد

الطقس منعش

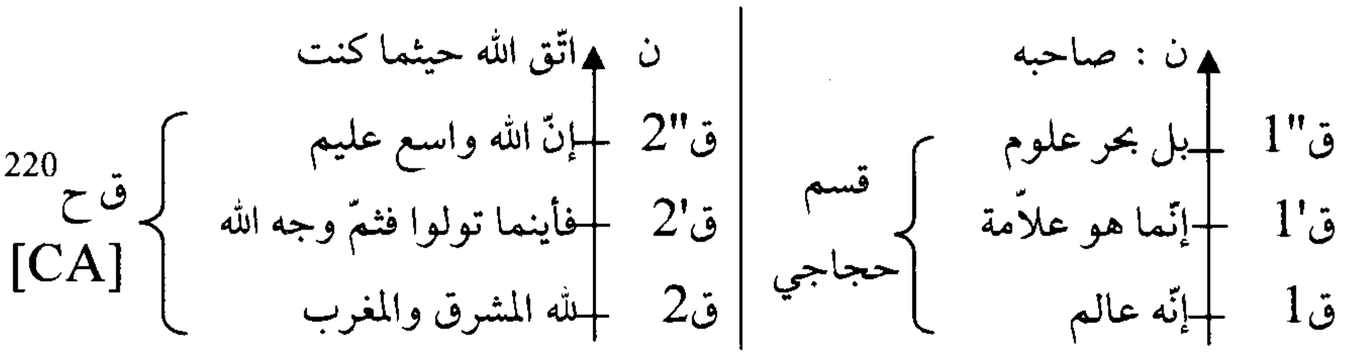

ففي المثال الذي نتيجته "صاحبه" نلاحظ أنّه ثمّة ضرب من الترقي في صوغ الحجّة من [التأكيد بإنّ إلى القصر بإنّما إلى الإضراب ببل] التي تنسف كلّ حكم سابق قبلها، وتؤكّد ما يليها وتقرّره خاصّة إذا كانت مسبوقة بنفي[221] وهذا الترقي وهذه التراتبية هي ما جعلت أنسكومبر خاصّة يجزم في جلّ ما كتب بكون اللغة تقوم على نمط خاص من السلّمية والتراتبية والسبب في ذلك كلّه يعود إلى ما توفّره هذه العوامل الحجاجية للملفوظ من طاقة وقيمة حجاجية مضافة بها تؤهّله لأن يأخذ درجة أعلى في السلم الحجاجي ففي "ق'1" و"ق"2" كان الفضل للصرفم "بل" الذي أنزل الملفوظ في هرم السلم الحجاجي في حين أنّ "ق1" و"ق" وعريهما عن العوامل هو الذي أنزلهما في قاعدة السلّم.

ولنا أن نصوغ بيان سلّمية اللغة وتفاوت قيمة الحجج في المعادلات التالية:

- ❖ "ق"1" أي الحجّة الأعلى = ن – (ق'1 + ق1)
- ❖ "ن" أي النتيجـــــــــــة = ق"1 ∩ ق'1 ∩ ق1

---

[220]- سورة البقرة الآية 115 [ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله].

[221]- الأنصاري (أبو محمد عبد الله): مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 113، تح. محيي الدين عبد الحميد، ج I، مطبعة المدني، د. ت.

فلا يصحّ حجاجيا تقديم ملفوظ على آخر من قبيل هو علاّمة بل عالم في المثال السابق لأنّ صيغة المفردة "علاّمة" أوغل تعبيرا عن التبحّر في العلم من صفة "عالم" كما بيّنا في سلّمية المستوى الصرفي كما لا يصحّ كذلك تقديم هو متحصّل على الدكتوراه على هو متحصّل على الإجازة لنتيجة مثل انتدبه للتدريس بالجامعة، وهذا مثال ضربه ديكرو، والذي نقصد إليه من كلّ هذا هو صيانة الرتبة التي يضمنها العامل الحجاجي فلا يجوز عطف الحجّة القوية على الحجّة الضعيفة أو الحجّة العليا على الحجّة السفلى لأنّه بذلك يصبح الملفوظ لاحنا حجاجيا وإن كان المدى الإبلاغي لا يسقط عن الجملة. وعليه فإنّه في المثال الثاني لا نستطيع القول "إنّ الله واسع عليم فأينما تولّوا فثمّ وجه الله ولله المشرق والمغرب" لنتيجة هي "اتّق الله حيثما كنت" لأنّ سلمية اللغة ترفض هذا حجاجيا وتقبله إبلاغيا ولأنّ الحجّة العليا أقرب إلى تأدية النتيجة وقادرة على اختزال ما يسبقها من الحجج وذلك بما لها من طاقة حجاجية قوية ويجعلها تفيض على ما يسبقها من الحجج فتكون بؤرة موجّهة للمتقبّل نحو المفهوم لذلك قال الأستاذ المبخوت في هذا السياق "والمهمّ هنا هو أنّ الحجج لا تتساوى ولكنّها تترتّب في درجات قوة وضعفا"[222] وينهض العامل الحجاجي بهذا الترتيب في درجات القوة والضعف ومثل هذا الكلام هو ما سوّغ لنا تمثيل السلم الحجاجي بالمعادلة الرياضية وعلامة أصغر أو أكبر، فما من سلم حجاجي إلاّ ويمكن تمثيله رياضيا كالآتي:

---

[222]- المبخوت (شكري) : أهمّ نظريات الحجاج، مذكور سابقا، ص 363.

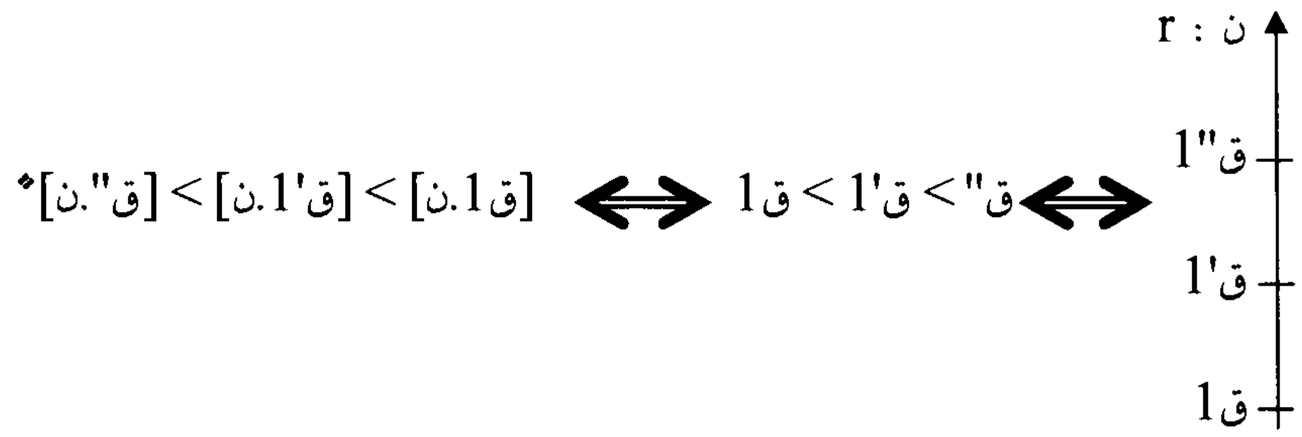

ويؤكّد هذه المقاربة خاصّة في المعادلة الثانية - عندما مثّلنا للعلاقة بين الحجّة والنتيجة بالمسافة[223] التي يقطعها المتقبّل في فكّ شفرة الملفوظ- مفهومُ المجهود L'effort cognitif وقياسا على نظرية الإفادة la pertinence في التواصل عند ويلسون وسبربار نقول إنّه كلّما كان المجهود العرفاني قليلا كانت النتيجة أكثر وضوحا وقربا للمتقبّل فيذعن لها كان الحجاج قويا في الملفوظ وكلّما كان المجهود العرفاني في تأويل النتيجة كبيرا وكان فهمنا لهذه النتيجة عسيرا كان الحجاج ضعيفا في الملفوظ ولعلّه من هذا المنطلق أو به كانت البرهنة على أسبقية الوظيفة الحجاجية للغة على الوظيفة الإبلاغية من خلال إقرار ديكرو وأنسكومبر بكون حجاجية الملفوظ ليست طارئة بل قارة في الملفوظ وهذا تقريبا ما عبّر عنه الأستاذ المبخوت قائلا، في باب الحديث عن أهمّيته نظرية السلالم الحجاجية "وتكمن أساسا في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيّز المحتوى الخبري للقول وهذا يعني أنّ القيمة

---

*- المعقفان [ ] تجسيم للمسافة بين الحجّة والنتيجة وهو ما يقابلها بالمصطلح الرياضي الهندسي segment.

[223]- ما يؤيّد لنا هذه المقاربة أيضا هو استعمال كلّ من ريبول وموشلار وحتى أنسكومبر مفردات من قبيل chemin أو parcours أو trajet.

الحجاجية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب لأنّها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي فهي كما ذكرنا ليست قيمة مضافة إلى البنية اللغوية بل مسجّلة فيها يتكهّن بها التنظيم الداخلي للغة"[224] ويمكن بيان هذا من خلال المثال التالي :

ن = فكن مثله / فاقصده

ق3 ← بل بحر وريح مرسلة

ق2 ← إنّما هو جواد

ق1 ← إنّه كريم

إنّ الملافيظ المقدّمة كحجج في المثال أعلاه. وإن تساوت في طاقتها الإبلاغية لأنّها لا تعدو أن تكون أخبارا عن كرم المتحدّث عنه، فإنّها حجاجيا غير متساوية. إذ أنّها في المستوى الإبلاغي تبقى جامدة قارّة constante في مختلف درجات السلم من قاعدته إلى قمّته. ولكنّ طاقتها الحجاجية متفاوتة فالأقوال "ق1" و"ق2" و"ق3" ليست على نفس القدر من النجاعة الحجاجية ولا تحتوي على نفس الطاقة ولا الشحنة الإقناعية التي تجعل المتقبّل يذعن للنتيجة، فالقول "ق3" مثلا في ما نرى أكثر حجاجية وبالتالي أقوى توجيها من "ق1" و"ق2" وذلك بفضل العامل "بل" والمجاز في كلمتي "بحر وريح مرسلة" فهو حينئذ أيسر مسلك به نصل إلى النتيجة "فأقصده ليقرضك بعض المال في حين أنّ "ق2" قد نهض بوظيفة التوجيه فيها

[224] - المبخوت (شكري): أهمّ نظريات الحجاج، مذكور سابقا، ص 370.

العامل الحجاجي "إنّما" وهي بالتالي أكثر حجاجية من "ق1" وإن لم تخل أيضا من التأكيد الذي اعتبرناه عاملا حجاجيا. والمفيد من كلّ هذا أنّه لا فضل لقول على قول آخر إلاّ بما يحمله من عوامل حجاجية، فكلّما كان الملفوظ متضمّنا لعوامل حجاجية أكثر كان محلّه في السلّم الحجاجي راقيا وبالتالي يكون أقرب مأخذا وأنجع في توصيل المتقبّل إلى مبتغاه، فالسلّم الحجاجي حينئذ يكشف من جهة عن معيار تفاضل الأقوال ومن جهة أخرى هو يكشف عن حجاجيتها فهو حينئذ كالرائز فما صلُح من الأقوال يكون في هرم السلّم وما كان أقلّها صلاحا أخذ درجته أسفل السلّم.

وهذه مزية السلم الحجاجي فهو لا يبرهن على وجود الوظيفة الإبلاغية وإنّما يستدلّ به على أنّ اللغة على درجات حجاجية تؤكّدها الصرافم المزيدة للملفوظ. فقولنا "إنّه كريم" ليس كقولنا "إنّما هو كريم" للقيمة التي توفّرها "إنّما" وهي الوجهة التي يتّخذها الملفوظ من خلال قصر صفة الكرم عليه. وهذا القصر بإنّما أكثر دعما للنتيجة أي إنّ الملفوظ أصبح به أقرب إلى النتيجة. وعليه فإنّ الإضراب بـ"بل" و"المجاز" في كلمة "بحر" يقوّيان التوجيه ويجعلان الملفوظ مفضيا مباشرة إلى النتيجة. وهذا آية على أنّ الدرجة التي يأخذها الملفوظ من السلم الحجاجي إنّما تحدّدها قدرة العامل على التوجيه وهذه آية أخرى على أنّ العوامل في حدّ ذاتها ليست على نفس القدر من النجاعة وإلاّ لما تفاضلت الأقوال وهو ما عبّر عنه موشلار وريبول بقولهما "إنّ الحدث الحجاجي يقوم بالأساس على التدرّج وهذا ما يحملنا على القول بأنّ القواعد الحجاجية، التي تمكّن من ربط الملافيظ فيما بينها في الخطاب هي

قواعد سلّمية"[225]. وعليه فإنّه إذا أجيز لنا وضع سلم في قوّة العامل الحجاجي ومدى قدرته على التوجيه في المثال السابق لتحصّلنا على السلم التالي :

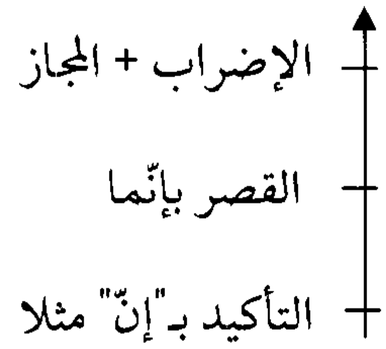

وهذه السلّمية فيما نرى يؤكّدها الطرح اللساني للحجاج الذي يرى فيه ديكرو وأنسكومبر أنّ الحجاج توجيه محض وأنّ الحجاج مركوز وكائن في البنية المجرّدة للملفوظ وكانا بهذا قد أخرجا الحجاج من كلّ الأوهام التي تجعله شبيها بالبلاغة أو الخطابة، وكان ذلك بالبحث في حجاجية الملفوظ وما به يكون الكلام حجاجا. وكانت آلة البحث في ذلك العوامل ومدى مساهمة نظرية السلالم الحجاجية في بيان قوانين الخطاب من ذلك دراسة ظاهرتي النفي والاستلزام[226].

ج- "الواو" نموذجا :

لئن أنشأت "حتى" و"بل" السلّمية الحجاجية في اللغة بنمط مخصوص مثلما كنّا قد تعرّضنا إليهما فإنّ "الواو" تكشف عن عبقرية أخرى في الاشتغال لإنجاز السلّم الحجاجي خارج إطار النفي والإثبات أو الإضراب أو التعليل أو انتهاء الغاية كما هو الشأن مع حتى مثلا.

---

225 - Reboul (A) et Moeschler (J) : Op. cit., p 301.

226- المبخوت (شكري) : أهمّ نظريات الحجاج، مذكور سابقا، ص 367.

والثابت عند جميع النحّات أنّ "الواو" متمحّضة لمطلق الجمع لذلك قال ابن يعيش في المفصّل "فالواو للجمع المطلق من غير أن يكون المبدوء به داخلا في الحكم قبل الآخر ولا أن يجتمعا في وقت واحد بل الأمران جائزان وجائز عكسهما نحو قولك جاءني زيد اليوم وعمر أمس واختصم بكر وخالد وسيان قعودك وقيامك. قال تعالى "وادخلوا الباب سجدًا وقوله حطة وقال "قولوا حطة وادخلوا الباب سجدًا" والقصّة واحدة"[227] والمحصّل من هذا التعريف الأولى أنّ الواو تنهض بوظيفة الجمع بين حكمين متطابقين عكس "بل" مثلا التي تنفى ما يسبقها وتثبت ما يلحقها. وعليه فإنّ ابن يعيش اعتبر ميزة الواو في جمعها بين ملافيظ مشتركة في الحكم لذلك قال "والدليل على ذلك أنّها لا توجب إلاّ الاشتراك بين شيئين فقط في حكم واحد"[228] ألا يرجعنا هذا الكلام إلى تعريف القسم الحجاجي ومقولة الاشتراك في الحجج الموصّلة إلى حكم واحد ألا وهو النتيجة. ولبيان الدور التوجيهي وإنشاء السلّم الحجاجي ندرس الأمثلة التالية[229]:

- فيهما فاكهة ونخل ورمان.
- حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى.

227- ابن يعيش (موفق الدين): شرح المفصّل، مذكور سابقا، ج 2، ص 90.

228- ابن يعيش (موفق الدين): شرح المفصّل، مذكور سابقا، ج 2، ص 90.

229- الأمثلة مأخوذة من كتاب إعراب القرآن للزجاج، ج 3، ص 818، تح، إبراهيم الأبياري، ط دار الكتاب المصري، 1999. وتحديدا من الباب الثامن والخمسون "هذا باب ما جاء في التنزيل معطوفا وليس المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وإنّما هو هو أو بعضه" إلاّ المثال الثاني فهو مأخوذ من سورة البقرة، الآية 238.

- من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل.
- ولقد أتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم.

ففي المثال الأوّل: عمل العامل الحجاجي على إعطاء الملفوظ درجة عليا في السلم الحجاجي وذلك بما أدّاه الإجمال والتفصيل [الفاكهة ← النخل / الرمان] وكان هذا كلّه عبر عاملية "الواو" وتجزيئتها للملفوظ ويمكن أن نمفصل الملفوظ إلى قطع خطابية حتى يتسنّى لنا إنزال كلّ قطعة في السلم.

فيهما فاكهة ونخل ورمان = فيهما فاكهة (فيهما نخل + فيهما الرمان)

ويمكن رسم الملافيظ على السلم الحجاجي كالتالي:

وفيهما الرمان (خاصّة) ← إغراء بالأخصّ أو بالنادر

وفيهما النخل ← إغراء بالخاص

فيهما فاكهة ← إغرا العام

إنّ "الواو" بقدر ما حملت الملفوظ على التخصيص وأخرجته من عموم الجنس إلى التفرّد والخصوص (أخصّ من الفاكهة النخل والرمان) بقدر ما أنزلته بذلك في درجة من السلم الحجاجي تخوّل له أن يكون حجّة فاعلة في الخطاب والمخاطَب. فلئن لم يذعن المتقبّل "لإغراءات الفاكهة والتشويق إليها" فإنّه، بفضل العامل الحجاجي، سيذعن للتخصيص الذي قامت به "الواو" عبر "النخل" و"الرمان" سيما وأنّ المخاطب المباشر، قريش، كانت تغريه مثل هذه الفواكه لقيام الاقتصاد عليها آنذاك. حتى لكأنّ النخل والرمان أطرزة

للفواكه في تلك البيئة آنذاك أو لربّما لمركزيتها في الاقتصاد والمعاش ولقيام الحياة عليها وإلاّ ما وقع الإغراء بها. ولذلك قال الزجّاج: "فأمّا قوله (فيهما فاكهة ونخل ورمان) فالشافعي يجعله من هذا الباب فيقول لو قال رجل لا آكل الفاكهة فأكل من هذين يحنث وجعله من هذا الباب كجبريل وميكائيل"[230].

وكذا الشأن في الملفوظ الثاني "ب" أي "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى الذي تكشف عملية التوجيه فيه بنية التكرار فأصل الخطاب كالآتي:

1- حافظوا على الصلوات وأخصّ الصلاة الوسطى.

2- حافظوا على الصلوات + [حافظوا على الصلاة الوسطى + حافظوا على الصلاة الوسطى].

حتى لكأنّ "الواو" عملت دور التوكيد والتأكيد إذ لم نقل التكرار لذلك يمكن تحويلها كالآتي أيضا:

3- حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى = (حافظوا على الصلوات) + (حافظوا على الصلاة الوسطى محافظة).

والذي ساعد العامل الحجاجي "على إنزال الملفوظ في السلم الحجاجي هو انتماء أقسام الملفوظ إلى نفس القسم الحجاجي بامتياز وإذا أجيز لنا اقتراض مصطلحات علماء الدلالة لقلنا إنّ الوحدات المعجمية المكوّنة لملافيظ

230- الزجّاج (أبو إسحاق): إعراب القرآن، مذكور سابقا، ص 818.

الحجج، التي من فرط انتمائها إلى نفس القسم الحجاجي، منتمية إلى نفس الحقل المعجمي "حقل الغلال والفواكه الذي من مفرداته النخل والرمان". ونقصد بذلك أنّ الوحدات المعجمية التي يُقَدُّ منها الملفوظ تساعد العامل الحجاجي على شيئين:

1/ تأكيد إنتماء الحجج إلى نفس القسم الحجاجي.

2/ إعطاء الملفوظ درجته الحقيقية من السلم.

ويمكن أن نختم بدراسة المثالين التاليين. لما توفّره "الواو" من سلّمية خاصّة قوامها الانتقال من العام إلى الخاص أو مِن الخاص إلى العام:

ج/ ولقد أتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم.

د/ مَن كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل.

ففي المثال الأوّل، وفّرت "الواو" السلّمية الحجاجية في ذلك الانتقال من الخاص (السبع المثاني) إلى العام و(القرآن العظيم). في حين أنّه في المثال الثاني تمّ الانتقال من العام أي (الله) إلى الخاص أي (ملائكته، رسله، جبريل وميكائيل). وفي هذا المثال الثاني يتفرّع الخاص إلى خاص الخاص. وذلك في الانتقال من الملائكة والرسل إلى التخصيص بذكر جبريل وميكائيل. ولو رسمنا الملفوظين في سلّم حجاجي لتحصّلنا على الشكل التالي:

ج/ ولقد أتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم ⇐[232]

- ن "فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين"[231]
- ولقد أتيناك القرآن العظيم
- ولقد أتيناك سبعًا من المثاني

د/ من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل ⇐

- ن فإنّ الله عدوّ للكافرين
- ومن كان عدوّا لجبريل وميكائيل
- ومن كان عدوّا لرسله
- ومن كان عدوّا لملائكته
- ومن كان عدوّا لله

كما يمكن أن نختم بدراسة المثال التالي الذي يجسّده السلم الحجاجي كالآتي:

- ن = لا تصاهره.
- ق3 كأنّه بالوعة.
- ق2 بل شريب لم يكف.
- ق1 مازال زيد يحتسي الخمرة.

---

[231]- سورة الحجر، الآية 94.

[232]- سورة الحجر، الآية 87.

إنّ الملافيظ المقدّمة حججا لنتيجة هي "لا تصاهره" إنّما كان تراتبها على هذه الصيغة أي كما هي في السلم أعلاه وذلك بما احتوته من صرافم morphèmes هي العوامل الحجاجية التي يصدق عليها قول ديكرو "ويمكن أن تحتوي الجملة على صرافم مختلفة أو تعابير وتراكيب علاوة على طاقتها الإبلاغية تصلح لأن تعطي للملفوظ وجهة حجاجية وتجعل المتقبّل في اتّجاه من الاتّجاهات"[233] وكلام ديكرو هذا، وتحديدا كلمات مثل صرافم morphèmes وتعابير expressions أو صيغ تركيبية tournures، هو ما يصدق على ما به تمّ التوجيه الحجاجي أي العوامل التي هيّأت للملفوظ أن يأخذ درجة من السلم ومن هذه العوامل. الإثبات المحض في "ق1" والإضراب في "ق2" والتشبيه في "ق3" ولكي نتبيّن كيف ترتّبت هذه الحجج يمكن أن نمثّل لها رقميا بالسلم التالي :

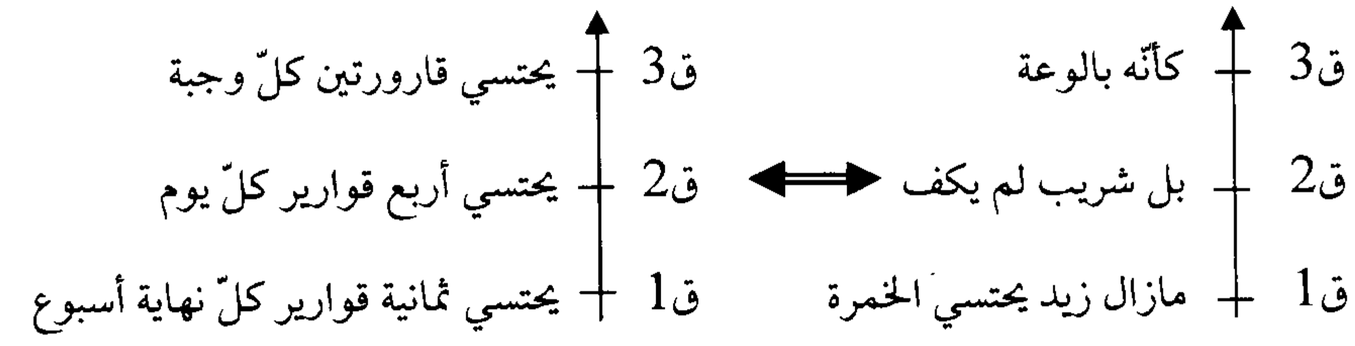

إنّ هذين السلمين دليل على أنّ الحجج في القسم الحجاجي ليست على نفس القيمة الحجاجية ومردّ تفاوتها في القوة إنّما هو مدى تضمّنها للعامل الحجاجي الذي يعطيها وجهة معيّنة في ضمان تسليم المتقبّل وإذعانه من قبيل

---

[233]- Ducrot (O): Les échelles argumentatives, p 15, (éd.), Minuit, 1980.

"بل" في "ق2" و"كأنّ" في "ق3" وهذا ما قد تؤيّده السمات الدلالية لمفردة "شرّيب" في "ق2" ممّا يدفعنا إلى اعتبار أنّ اللفظ في تصرّفه يقوم على سلمية يمكن للسلم التالي تلخيصها.

شريب (الصفة) + مقولة العدد

شارب (الصفة) + مقولة الثبات والملازمة

يشرب (الحدث) + مقولة التحوّل

وهذا ما يجعل كلمة "شرّيب" عندما تكون في الملفوظ تساهم مساهمة جادّة في تحديد الوجهة الحجاجية للملفوظ وذلك لكثافة شحنتها الحجاجية وامتلائها بالمعنى أكثر من الصيغتين (يشرب / شارب) وعليه فإنّه كلّما كان الملفوظ أقرب درجة إلى النتيجة كان أكثر حجاجية وبالتالي أكثر احتواء للعوامل وكلّما كان أبعد عن النتيجة كان أقلّ حجاجية وأكثر إبلاغية وبالتالي أقلّ احتواء للعوامل ومن هذا المنطلق برهن ديكرو وأنسكومبر على تفرّع الوظيفة الإبلاغية للغة عن الوظيفة الحجاجية[234].

II. 2- القسم الحجاجي والمربّعات الحجاجية: الحجج غير المنتمية إلى نفس "ق.ح":

كنّا وصلنا إلى أنّ القسم الحجاجي هو مجموعة الحجج المتطابقة identiques التي توجّه المتقبّل وجهة معيّنة في سبيل الوصول إلى نتيجة واحدة يروم الباث إذعان متقبّله لها وتسليمه بها وما يحكم هذه الحجج

[234]- انظر أنسكومبر في مقاله حيوية المعنى والسلمية، 1987، ص 126.

لتعدّدها هو القوة والضعف وبالتالي السلّمية والتراتبية. والسؤال المطروح هل ثمّة إمكانية وجود حجج لا تنتمي إلى نفس القسم الحجاجي، ورغم عدم انتمائها إلى نفس القسم الحجاجي فإنّها، وهذا هو المشكل، تقود إلى نتيجة واحدة. والمؤكّد أنّه إذا صحّ هذا الافتراض فإنّه لا يكون إلاّ بضرب خاص من العوامل الحجاجية تؤلّف بين ما تنافر وتباين من الحجج فلئن كانت العوامل التي درسناها بادئ الأمر تؤكّد على مزيد تثبيت الملفوظ في القسم الحجاجي فإنّ هذا الضرب من العوامل يشتغل بصيغة مغايرة تماما وإن لم يفقد وظيفته الأولى وهي توجيه الخطاب غير أنّ التوجيه هنا أي متى كانت الحجج غير منتمية إلى نفس القسم الحجاجي يكون بتثبيت الملفوظ وحمله على الإيصال لنتيجة واحدة فالعامل الحجاجي، بهذا المعنى، صنفان:

1/ صنف أوّل: وظيفته تعزيز حضور الملفوظ في قسمه الحجاجي لكي يكون ذا طاقة حجاجية قوية تؤهّله لدور التوجيه.

2/ صنف ثان: وظيفته التأليف والتوفيق فيما تنافر من الحجج حتى يكون هذا الجمع بين المختلف والمفترق من الحجج قائدا لنتيجة واحدة.

ويمكن ضرب المثال التالي على الحجج غير المنتمية إلى قسم حجاجي واحد (المثال مأخوذ من معجم موشلار وريبول 1994).

1. أ/ لو كنت مكانك لا أسند هذا العمل إلى زيد: إنّه ذو كفاية رغم غموضه.

1. ب/ لو كنت مكانك لا أسند هذا العمل إلى زيد: إنّه غامض رغم كفايته.

2. أ/ لو كنت مكانك أسند هذا العمل إلى زيد، إنّه ذو كفاية رغم غموضه.

2. ب/ لو كنت مكانك أسند هذا العمل إلى زيد، إنّه غامض لكن ذو كفاية.

ويعلّق موشلار على هذه الأمثلة قائلا إنّ "إبراز الكفاية" ينتمي إلى قسم حجاجي نتيجته "لو كنت مكانك أسند هذا العمل إلى زيد" و"إبراز الغموض" تنتمي إلى قسم حجاجي نتيجته معاكسة تماما"[235]. والطريف في الأمر أنّ الحجّة "زيد غامض" أقوى من "زيد ذو كفاية" في الملفوظ [1.أ] رغم ما للكفاية من صفة الحجّة القاطعة. هذا ما جعل موشلار وريبول يعلّقان على الملفوظ الذي فيه صرافم من قبيل (لكن، رغم...) بقولهما "لكي يكون الملفوظ ذا بعد حجاجي يجب أن يكون ثمّة تطابق تام بين النتيجة والقسم الحجاجي للحجّة التي تتضمّن "لَكِنْ""[236]. فالحجّة "ذو كفاية" والحجّة "لكنّه غامض" لا ينتميان لنفس القسم الحجاجي. وبالتالي لا يؤدّيان إلى نفس النتيجة ولكنّهما، وهما في الملفوظ، يعطيانه وجهة خاصّة. يفسّرها موشلار بما سمّاه المربع الحجاجي Carré argumentatif وبتطبيقه على المثال أعلاه نتحصّل على الشكل:

---

[235]- Reboul (A) et Moeschler (J): Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, p 284, (éd.) du Seuil, 1994.
[236]- Reboul (A) et Moeschler (J): Op. cit., p 284.

زيد ذو كفاية[237]	<	لكنّه غامض[238]*
↓		↓
أسند العمل لزيد[239]		لا أسند العمل لزيد[240]

وما يسترعي انتباهنا أنّ الحجّة التي يكون محلّها من الملفوظ بعد "لكن"، رغم أنّها لا تنتمي إلى نفس القسم الحجاجي للحجّة إلاّ أنّها بفضل العامل الحجاجي "لكن" وما شابهه من عوامل حجاجية، تقوّي التوجيه وتجعل فيه منعرجا. وتتمثّل تقوية التوجيه في الوصول إلى النتيجة رغم استبعاد وقوعها. فالمتقبّل مثلا في المثال السابق. لا ينتظر إسناد العمل إلى زيد نظرا لأنّ القول الحجّة يؤكّد أنّه ليس أهلا له لكن قوة الحجّة "ذو كفاية" وقوّة العامل "لكن" تجعل الملفوظ ذا طاقة حجاجية قوية على غير ما كنّا نألفه في الملافيظ التي تنتمي لقسم حجاجي واحد ويمكن للمثال التالي توضيح الأمر أكثر.

* هي فاتنة الجمال لكنّها بليدة

↓ ↓

(ن): مؤهّلة للزواج ↔ (- ن): ليست أهلا للزواج

237- الحجّة 1 } مع شرط أنّ كلا الحجّتين لا يقودان إلى نفس النتيجة.

238- الحجّة 2 }

*- تدلّ العلاّمة > على قوّة وضعف الحجّة وعدم انتمائها إلى نفس القسم الحجاجي.

239- "ن" النتيجة التي تقود إليها الحجّة (ح 1).

240- "ن2" التي تقود لها الحجّة (ح 2) وهي عادة تساوي "- ن".

والبينّ أنّ الحجّتين لا ينتميان إلى نفس القسم الحجاجي فالحجّة الأولى قد سيقت إلى نتيجة من قبيل [تزوّجها، أو هي أهل للزواج، أو لَيْتَهَا تتزوّج] أمّا الحجّة الثانية فقد سيقت لنتيجة مضادة تماما كما تقول ريبول وموشلار. ولسائل أن يسأل ما دامت النتيجة ليست واحدة، فما الذي يجمع بين الحجّتين رغم تنافرهما.

إنّ الذي جمع بين الحجّتين إنّما هو العامل "لكنّ" وما كان له نفس الوظيفة وهو على ما نعته موشلار رابطة فاصل بين عنصرين متناقضين وعليه نتحصّل على الشكل المجرّد التالي:

	ق < ك	
[ن]	▼	[- ن]

وبالتالي يمكن الحصول على المعادلات التالية:

ق ← ن وك ← - ن و[ق + ك] ← - ن [241].

والمركزي في مسألة الحجج غير المنتمية إلى نفس القسم الحجاجي ليس الحجج في حدّ ذاتها بقدر تكمن الأهمّية في العامل الحجاجي الذي يقلب موازين التأويل وتقبّل الملفوظ وإن كان موشلار ينعت

---

[241]- هي الحجّة الأولى / < ' علامة قوة وضعف / ك: هي الحجّة الثانية / ن: النتيجة التي تعطيها ق/ ▼ : العامل الدال الربط الفاصل بين قضيتين متناقضتين / - ن: النتيجة التي تعطيها ك.

هذا العامل بكونه رابطا فاصلا بين القضيتين المتناقضتين [ق وك] أمّا نحاتنا العرب من أمثال ابن يعيش فقال فيها شيئا آخر مغايرا تماما إذ يرى أنّ لكن "حرف عطف أيضا ومعناه الاستدراك... وترد في الاستعمال على ثلاثة أضرب تكون للعطف والاستدراك... ولمجرّد الاستدراك... وتكون حرف ابتداء يستأنف بعدها الكلام نحو إنّما"[242] وإن لم يكن ابن يعيش على معرفة بالتوجيه الحجاجي إلا أنّه فهم دور "لكن" عبر مقولة الاستدراك التي تعنى في بعض من معانيها توجيه المتقبّل لما يلي الصرفم "لكن" وتَصْرِفه عمّا يسبقه.

ففي المثال السابق، "هي فاتنة الجمال لكنّها بليدة". تقوّي "لكن" التوجيه نحو ما يليها وتقطع مع ما يتقدّمها. باعتبار أنّ الحجّتين غير منتميتين لنفس القسم الحجاجي والحجّة2 [بليدة] أقوى حجاجيا بفضل العامل "لكن" الذي يقود حركة الملفوظ ومن هنا يمكن فهم كيف أنّ المعجم له دور كبير في عملية التوجيه الحجاجي، علاوة على دور العامل، فالحجّة الأولى: "فاتنة الجمال" تقود معياريا normativement إلى "إذن يجب أن تُتَزوَّجَ" غير أنّ العامل "لكن" يقلب المعادلة فتصبح نتيجة عدم الزواج أوكد وذلك بفضل "لكن" وما يليها أي الصفة "بليدة".

ومَا صَدَق على "لكن" يصدق على "بل، لا" بناء على ما قاله ابن يعيش "اعلم أنّ هذه الحروف متواخية لتقارب معانيها من حيث كان ما بعدها مخالفا

---

[242]- ابن يعيش (موفق الدين): شرح المفصل، دار صادر، ج 8، ص 105، د ت.

لما قبلها"[243]. وصلب عملية التوجيه تكمن في هذه المخالفة لما بعد الصرفم لما قبله وهذا يبرهن عليه المربع الحجاجي كما أشرنا آنفا. لاختلاف الحجّتين في الانتماء إلى نفس القسم الحجاجي ومن هنا نفهم ما قاله ابن يعيش عندما يعتبر أنّ "العطف بلكن فيه إخباران بما قبلها وبما بعدها وهو إيجاب فاعرفه" ويمكن فهم قوله إخباران بأنّه الأقسام الحجاجية المختلفة وعدم تطابق النتيجة "ن" بين كلا الحجّتين. وذلك مقتضى حديثه عن النفي والإيجاب. فالحجّة الأولى حكمها النفي والثانية حكمها الإيجاب والإثبات.

III خاتمة الفصل الثالث:

إنّ قيمة العوامل الحجاجية ومزيّتها في الملفوظ وفضلها في توجيه الخطاب لا يمكن بحال من الأحوال البرهنة عليها إلاّ عبر نظرية السلالم الحجاجية المستقاة من سلمية اللغة في حدّ ذاتها التي اعتبرها أي السلّمية أنسكومبر صفة ملازمة للغة. ولقد حاولنا تتبّعها في مستوى أنظمة اللغة من معجم وتصريف، وبلاغة وتركيب، ولم نكن نبالغ حين قلنا إنّ الوحدات المعجمية في انتظامها في المعجم تقوم على تراتبية خاصّة قد تفسّرها ظاهرة الترادف التي بحكم علاقة المفردات ببعضها لا تقوم على نفس القدر من المساواة في أداء المعنى أو قد يفسّرها الحقل المعجمي والعلائق بين وحداته المعجمية. وقد لا نبالغ أيضا إذا قلنا إنّ النظام الصرفي والصيغي بصفة عامّة قائم على السلّمية وقد لاحظنا أنّ الزيادة التي تزاد للجذع أو الجذر لها قيمة عاملية حجاجية مثل الانتقال مثلا من الفعل إلى اسم الفاعل ومن اسم الفاعل إلى صيغة

---

[243]- ابن يعيش (موفق الدين): المرجع نفسه، ص 104.

المبالغة وما صدق على النظام المعجمي والتصريفي يصدق على النظامين البلاغي والتركيبي سيما وأنّ هذين النظامين ينضاف إليهما دور المقام وما له من تأثير على الإنجاز.

وقد لا نتجرّأ إذا قلنا إنّ صفة السلّمية في اللغة ذات بعد عاملي حجاجي ومن هنا فقط يمكن فهم نظرية ديكرو وأنسكومبر وإصرارهما على أنّ اللغة هي بالأساس حجاج في جميع مستوياتها كما بيّنا ولعلّ مقولة الأقسام الحجاجية آلية من آليات تيسير فهم النظرية بأكملها وخطوة أولى في الاستدلال على سلمية اللغة ودور العامل في عدم تساوي الحجج في آن واحد وعليه فإنّ العامل الحجاج يتشكّل في ضوء الأقسام الحجاجية التي تجمعه بها علاقة جدلية فطبيعة القسم الحجاجي وطبيعة الحجج المكوّنة له هو ما يسوّغ لاشتغال عامل دون آخر وصلاحية عامل دون آخر.

وطبيعة العامل هي التي تسوّغ لحجّة ما أن تسبق حجّة أخرى في السلم الحجاجي وذلك بتقوية بعضها وإضعاف بعضها الآخر وإنزالها منزلتها من السلم.

ورغم كلّ هذا فإنّنا نجد ضربا خاصّا من العوامل كالذي يجمع بين حجّتين لا ينتميان إلى نفس القسم الحجاجي وهو رغم ذلك يبرهن على عبقرية اللغة بنوع خاص كما يبرهن على منطق اشتغال للغة مخصوص حتّى أنّ دراسة سلمية اللغة في هذا الضرب من الملافيظ تبدو مغايرة لما هي عليه في الملافيظ التي تحتوي حججا تنتمي إلى نفس القسم الحجاجي.

الخاتمة:

العامل الحجاجي ومبدأ الإفادة في التواصل

لقد كان رهان الدرس اللساني البحث في نجاعة اللغة وعلاقة الأفراد بها وكانت الوظيفة التواصلية الوظيفة المركز للغة في الدرس بأكمله منذ الفلاسفة الأوّل إلى بنفينيست. ومنه إلى العرفانيين من أمثال سبربار ويلسون ولقد كان التواصل في معناه الأوّل هو "الحدث الذي يتركه / يوجّهه الأنا إلى الأنت"[244] وذلك عبر رسم كان حدّده بنفينيست وغيره من اللسانيين البنيويين يتمثّل في الباث باعتباره متكلّما والمتقبّل باعتباره سامعا واللغة باعتبارها قناة. وينضاف إلى هذه العناصر الرئيسيّة للجهاز عناصر أخرى هي الشفرة code ومحلّل الشفرة décodeur وعليه اعتبر موشلار وريبول التواصل في اللسانيات البنيوية منوالها سنيا[245] model codique، وهذا ما صرّح به أيضا سبربار وويلسون عندما قالا "إنّ كلّ نظريات التواصل كانت قائمة على منوال واحد فقط هو المنوال السنني"[246] وفي ما يرى ويلسون وسبربار، حسب هذا المنوال التقليدي، أنّ التواصل قائما على حركتين هما وضع الشفرة وفكّها coder → décoder إلى أن حدثت القطيعة مع بول قرايس ودايفيد لويس في اقتراح منوال جديد هو المنوال الاستدلالي modèle inférentiel وهو منوال يعتبر التواصل إنتاجا وتأويلا production et interprétation للمعطيات. وعليه عرّف ويلسون

---

[244] - Moeschler (Jacques) et Reboul (Anne): Dictionnaire Encuyclopédique de pragmatique", p 82, (éd.), du Seuil, 1994, "L'acte de communication étant le fait de je adressé à tu".

[245]- المرجع السابق، ص 93.

[246] - Sperber (Dan) et Wilson (Diedre) : La pertinence : communication et cognition, p 13, traduit de l'Anglais par Abel Gerschenfeld et Dan Sperber, (éd.), Minuit, 1989.

وسبربار التواصل بكونه إجراء يضع طرفين في معالجة المعلومة. ولا يمكن الحديث عن التواصل معهما، سبربار وويلسون، إلاّ ووجب الحديث عن صفة ملازمة للحدث التواصلي وهي صفة الإفادة la pertinence لأنّ هذا التواصل لا يمكن أن يتمّ إلاّ إذا كان قائما على مبدإ الإفادة. وهو مبدأ مركزي به تتحقّق نجاعة الملفوظ حتى أنّ موشلار وريبول في معجمهما يعتبرانها نظرية بأكملها إذ يقولان "إنّ نظرية الإفادة تقوم على فكرة بسيطة وهي مفهوم المردود أو الإنتاجية لأنّ ذهن الإنسان، حسب سبربار ويلسون، موجّه نحو الإفادة"[247].

ومضارعة مفهوم الإفادة في اللسانيات لمفهومي الإنتاجية productivité والمردود كان قد تفطّن إليه سبربار وولسون في كتابهما المذكور آنفا، **فأن نتواصل هو أن نحقّق الإفادة.**

وعندهما أنّ مبدأ الإفادة "يحكمه عاملان أو لنقل رائزان هما الجهد العرفاني l'effort cognitif والأثر السياقي l'effet contextuel"[248] وذلك عبر قاعدتين هما:

1/ كلّما كان الملفوظ منتجا للأثر السياقي كان أكثر إفادة.

2/ كلّما كان الملفوظ لا يتطلّب جهدا عرفانيا كبيرا لمعالجته كان أكثر إفادة.

ويمكن تحويل هاتين القاعدتين بصيغة أخرى فنقول:

---

[247] - Moeschler (Jacques) et Reboul (Anne): Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p 91, (éd.), du Seuil, 1994.

[248] - المرجع السابق، ص 92.

1/ كلّما كان الأثر السياقي في الملفوظ ضعيفا كان أقلّ إفادة.

2/ كلّما كان المجهود العرفاني كثيرا كان الملفوظ أقلّ إفادة.

وهذان العاملان أي الأثر السياقي والجهد العرفاني يعتبرهما سبربار وويلسون مصطلحين مركزيين في تحديد الإفادة بل إنّهما المحدّد الرئيسي لها لذلك قال "إنّ مفهوم الأثر السياقي ضروري لتعريف الإفادة... فحضور الأثر السياقي في السياق شرط لازم لكي تحصل الإفادة"[249] **والذي نرى أنّ للعامل الحجاجي نصيب الأسد في تحديد مبدإ الإفادة وذلك حسب المنوال الاستدلالي بناء على أنّ الاستدلال شرط الإفادة. فلا تواصل بدون عامل حجاجي ولا إفادة بدون تواصل فالمسؤول عن نجاعة الملفوظ وإفادته حينئذ إنّما هو العامل الحجاجي** الذي يبرز الأثر العرفاني ويكثّفه ويكثّره ويساهم مساهمة فاعلة في تقليص الجهد العرفاني في بثّ الملفوظ وفكّ شفرته علاوة على تيسيره لعملية التوجيه.

إنّ العامل الحجاجي حينئذ مولّد للإفادة على غير طريقة ويلسون وسبربار وذلك مقارنة بما جاء عند موشلار وريبول في معجمهما الموسوعي للتداولية وفي كتابهما "تداولية الخطاب : من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب"[250] حيث خصّص فقرة مهمّة تحت عنوان "الجهد العرفاني والأثر السياقي

---

[249] - Sperber (Dan) et Wilson (Diedre) : La pertinence : communication et cognition, p 182 - 185, 1989, (éd.), minuit.

[250]- Reboul (A) et Moeschler (J): Pragmatique du discours: De l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours, (éd.) Armand Colin, 1998.

للروابط[251] بعد أن عقدا فقرة مهمّة بحثا فيها صلة مبدأ الإفادة بالسياق محدّدين الإفادة بكونها كامنة في الملفوظ ولها ضمانات des garanties في الخطاب تبرزها. وهذه الضمانات إنّما هي في حقيقتها العوامل الحجاجية[252] وإن لم يسلم تناول ريبول وموشلار لمعياري الجهد العرفاني والأثر السياقي من بعض الخلط من ذلك محاولتهما في تقسيم الأثر السياقي إلى ثلاثة أضرب ودراسة العوامل التداولية وأثرها العرفاوي في الملفوظ الذي لا يخرج عن وظيفتين كبيرتين :

1- تيسير عملية معالجة المعلومة وذلك بتقليص المجهود العرفاني.

2- دور تأويلي وذلك عند تحديدها للأثر السياقي للملفوظ[253].

وفي صياغة تأليفية بيّن موشلار وريبول أنّ الروابط تصلح لأن تكون مرشدا guide للسامع إلى التأويل الصحيح وذلك بتقليصها من المجهود الذي به نفكّ شفرة الملفوظ وهي الضامنة بطريقة ناجعة للإفادة في الملفوظ[254].

من أجل هذا كلّه كان الفصل الأوّل من هذا العمل وهو **العامل الحجاجي والمفهوم**، ولقد انطلقنا فيه من مقدّمة ضبطنا فيها الفوضى الاصطلاحية بين شبكتين : الشبكة المنطقية والشبكة اللسانية حول متصوّر (المفهوم، النتيجة،

---

[251]- المرجع السابق : انظر ما بين الصفحتين 90 - 96.

[252]- المرجع السابق، ص 51.

[253]- المرجع السابق، ص 91.

[254]- المرجع السابق، ص 98.

Les connecteurs servent **de guide pour l'interprétation** et en minimisant les efforts de traitement et en dirigeant le processus de découverte des effets contextuels **ils assurent de manière efficace la pertinence du discours**.

الاستلزام، الاستدلال، المقتضى) ووجدنا أنّ متصوّر "مفهوم" هو أكثر المتصوّرات كثافة اصطلاحية ووفاء في أداء المعنى دون غيرهِ من المصطلحات وذلك من خلال التراث الأصولي من جهة والدرس اللساني الحديث من جهة ثانية مع ديكرو خاصّة عند دراسته لبنية الشرط التي رأينا أنّ ما يعتبره ديكرو مفهومهاsous entendu لهذه البنية يوازي ما يعتبره الأصوليون مفهوم المخالفة وبعد هذا الضبط الاصطلاحي تعرّضنا إلى ضربين من الملافيظ من خلال العامل الحجاجي، ملافيظ تكون النتيجة فيها أحادية وملافيظ تكون نتائجها متعدّدة.

أمّا متى كانت النتيجة أحادية، وقد عالجناها من خلال عاملية صرافم النفي والقصر وتركيب الاستثناء، فإنّ المفهوم يقع تحديده لسانيا فهي على حدّ عبارة أوريكيوني حدث لغوي لا دخل للمقام في تحديده عكس ما يقول به ديكرو عندما يؤكّد على حضور العنصر المقامي لتحديد المفهوم. ففرادة المفهوم وأحاديته عائدان إلى صرامة العنصر اللساني الذي يضبطه.

وأمّا متى كانت النتيجة متعدّدة فهناك يقع المأزق الذي يبرز نجاعة العامل ومزيته وسبب هذه المعضلة هو تسرّب العناصر غير اللسانية إلى الملفوظ بالملفوظ ونقصد بذلك وسم العامل الحجاجي للمقام في حدّ ذاته فالمقام إنّما يحدّده العامل لأنّه بتحديده للمقام إنّما هو في الأثناء يحدّد المفهوم وهنا تبرز نجاعة العامل وقوّته وذلك عند ضبطه لعنصر الإفادة التي ندركها عبر السياق الذي لا يقده إلاّ العامل الحجاجي **ولا نجازف إذا قلنا إنّ مبدأ الإفادة في الملفوظ رهين الشبكة العاملية التي يقوم عليها** وإن كان سبربار وويلسون

يضعان السياق محدّدا لمبدإ الإفادة من خلال الأثر العرفاني والمجهود العرفاني فكلّما كان المجهود العرفاني ضعيفا ويؤدّي إلى أثر عرفاني قوي كان الملفوظ أكثر إفادة وكلّما كان المجهود العرفاني كثيرا وقويّا وكان الأثر العرفاني ضعيفا كان الملفوظ أقلّ إفادة ولا يكون المجهود العرفاني حسب رأينا على هذا النحو إلاّ عند تحديد العامل له إنشاء وتقبّلا وعليه فإنّ السياق، وهو ما اعتبرته أوريكيوني في كتابها الضمني ما به يقوم المفهوم لأنّ المفهوم عنصر يكشف عنه السياق باعتباره عنصرا لسانيا وهنا تظهر مزية العامل في تمكيننا من فكّ شفرة الملفوظ من منوال السنن إلى المنوال الاستدلالي الذي يقرّ أصحابه كما أشرنا آنفا بعكس ما يذهب إليه أصحاب المنوال التقليدي وذلك بوجوب إدراك مفهوم الملفوظ في كليته من سياقه عبر عمليات عرفانية خاصّة استدلالية لا تعود إلى تجزيئة مفرداته والبحث في مرادفاتها.

أمّا الفصل الثاني فهو بعنوان العامل الحجاجي والموضع والذي دعانا إليه إنّما هو فوضى الدلالة التي قد يساهم العامل الحجاجي في تكوينها وذلك عندما اعتبرنا العامل الحجاجي يسم المقامات في الملفوظ وتقريبا هذا ما أشار إليه أونسكومبر 1987 عند تشريعه لاقتراض مفهوم الموضع لرفد نظرية العامل الحجاجي وتدارك الوهن الذي قد يطرأ عليها عند تسبّبها في فوضى الدلالة عوض تنظيمها وقد قدّمنا لهذا الفصل بتعريف للمواضع فإذا هي مجموعة مبادئ عامّة وقوانين تشدّ الملفوظ وتسوّغ لمشروعيته وإذا هي مخازن للحجج على حدّ عبارة سيشرون وهي ما يجب حسن امتلاكه وحسن معرفته حسب أرسطو لأنّه تحتها تقع الحجج وقد عالجها بيرلمان 1958 تقريبا بالمنوال القديم فقسّمها إلى نوعين كبيرين هما موضعا الكم والكيف. وأضاف

قسما ثالثا تحت عنوان مواضع أخرى. وبعد تعريف المواضع تعرّضنا إلى أقسامها فإذا هي على صنفين كبيرين أمّا الصنف الأوّل فهو المواضع بما هي أفكار عامّة idée reçue وهي ما يقع الاعتماد عليها في الاستدلال والبرهنة نظرا لعموميتها ونجاعتها في المحادثة كقانون متواضع عليه يقع الاحتكام إليه في المحاورات. وأمّا الصنف الثاني وهو المواضع بما هي أشكال فارغة forme vide وهي الصنف الذي يساهم ببنيته المجرّدة وشكله المنطقي الاستدلالي في الخطاب لذلك عرّفها ديكرو وأنسكومبر بأنّها بنى منطقية خطابية وهي بدورها على ضربين مواضع صاعدة topoï ascendant ومواضع نازلة topoï descendant.

وبعد تصنيفها وقفنا على أهمّيتها في الحجاج ونجاعتها في الحدث التلفّظي معتبرين الموضع بمثابة جواز لصلاح ملفوظ دون آخر وذلك لأنّها تلعب في الملفوظ دورين هما بمثابة الوظيفة لها وهما الوظيفة الاستدلالية inférentiel والوظيفة الخطابية discursif وفي نهاية هذا القسم من أهمّية المواضع أشرنا إلى الفرق بين الحجاج بالمواضع مع ديكرو والاستلزام التخاطبي مع بول قرايس الذي يعوّض مقولة الموضع بالسياق في معادلة الاستلزام. ومن ثمّة تعرّضنا لكيفية تناول ديكرو للمواضع في إطار الحجاج التقني وفي باب تأييد العوامل الحجاجية وذلك عبر استغلال الرمزين (+ -) والبدائل الأربعة التي تعتبر عندهما أشكال موضعية formes topiques تسهّل عملية المرور من المعطى إلى النتيجة فإذا هي تضارع عنصر الضمان "G" عند تولمين ولاحظنا أنّ هذه البدائل الأربعة قد يصلح منها شكل واحد

ليكون هو الموضع الذي يضمن سلامة الملفوظ من اللحن الحجاجي أمّا الأشكال الأخرى فهي وإن لم تصلح حجاجيّا فإنّ الأمر رهين المتخاطبين وهي وإن لم تصلح في عصر ما ومصر ما فإنّها قد تكون شكلا موضعيا صالحا في عصر آخر ومصر آخر ثمّ انتهينا إلى دور العامل في قدح المواضع وتنشيطها والحدّ منها وقيامه بعملية التصفية لها فهو ما به نميّز صلاح موضع دون آخر. فالعامل الحجاجي إذ يقدح الموضع إنّما هو يقوم بعملية التوجيه الأولى ليحدّد المفهوم المطلوب من الملفوظ.

ولقد ختمنا هذا الفصل بتعريف للعامل الحجاجي في ضوء الاستعانة بنظرية المواضع، فإذا هو علاوة على طبيعته اللسانية، باعتباره صرفما، ووظيفته التوجيهية للملفوظ، فإنّه يحقّق للخطاب إفادته ووظيفة التنشيط هذه للمواضع هي المرحلة الأولى من مراحل التوجيه الحجاجي فيصبح العامل الحجاجي بالتالي شبكة من المواضع ييسّر اتّباع خطوطها الوصول إلى المفهوم لاعتبار هو أنّ المواضع تربط بين الحجّة والنتيجة ربطا ضمنيا ينشّطه العامل الحجاجي.

ولقد ختمنا العمل بفصل ثالث كان عنوانه العوامل الحجاجية وهيكلة الملفوظ الحجاجي وذلك في سبيل بيان كيفية اشتغال الجهاز الحجاجي ضمن سلمية اللغة وفي إطار مقولة التوجيه الحجاجي. ولذلك قدّمنا له بدراسة مفهوم السلّمية معتبرينها من المتصوّرات المركزية في البحث شأنها شأن متصوّر القسم الحجاجي لها تمظهرات تعكسها مستويات الوصف اللساني فإذا بالسلّمية صفة للغة ملازمة لها منذ المعجم بمقولاته والتصريف بصيغة والبلاغة بوجوهها ولئن كانت السلّمية في هذه المستويات الثلاثة لها صيغة

خاصّة فإنّها، السلّمية، في التركيب مرتبطة بالإنجاز فهي تظهر بصيغة أخرى يساعد المقام على تبيينها ثمّ تطرّقنا للمتصوّر المركزي الثاني وهو متصوّر القسم الحجاجي والذي اختصره ديكرو في الحرفين "CA" وهو مجموعة الملافيظ التي تحكمها علاقة القوة والضعف التي ترمي إلى إقناع المتقبّل بنتيجة واحدة فهي رغم تعدّدها فإنّها توجّه المتقبّل إلى مفهوم واحد وقد قادنا هذا التقديم إلى بيان دور السلالم الحجاجية الذي لولا الوقوف على سلمية اللغة والأقسام الحجاجية لما توضّح لنا كشف السلالم الحجاجية عن حجاجية اللغة التي يفضحها العامل الحجاجي وذلك بإنزاله الملفوظ في درجته الحقيقية من السلم الحجاجي وذلك أيضا عند تقوية العامل للحجّة وكنّا أشرنا إلى أنّ العلاقة التي تحكم الحجج في القسم الحجاجي الواحد إنّما هي علاقة القوة والضعف فما كان من الحجج قويا كان أقدر على عملية التوجيه وبالتالي على تقديم الوظيفة الحجاجية للغة على الوظيفة الإبلاغية وما كان منها ضعيفا كان أقلّ توجيها وأكثر برهنة على وصف اللغة للكون وعليه فإنّ العامل الحجاجي هو الذي استدعى نظرية السلالم الحجاجية للبرهنة على مزيته ودوره في الملفوظ وكشفه عن عدم تساوي الحجج وبالتالي على سلمية اللغة وعلى أسبقية الوظيفة الحجاجية على الوظيفة الإبلاغية.

إنّ نظرية السلالم الحجاجية ضمن الطرح اللغوي للحجاج ما لها من دور سوى البرهنة على رأيين مهمّين هما أسبقية الوظيفة الحجاجية للغة على الوظيفة الإبلاغية وبيان أنّ اللغة تقوم على السلّمية ولا يمكن التفطّن لمزية نظرية السلالم الحجاجية إلاّ عبر العامل الحجاجي لأنّه هو القادح motif

للجهاز الحجاجي بأسره وبما أنّ اللغة بالأساس حجاج فإنّ العامل الحجاجي هو المحرّك للغة كلّها وقد يكون الانتقال من المنوال السنني إلى المنوال الاستدلالي الذي كنّا قد أشرنا إليه آنفا إنّما يسوّغه العامل الحجاجي.

وفي القسم الأخير من هذا الفصل تعرّضنا إلى ضرب من العوامل استدعته دراستنا لبعض الملافيظ وهي الملافيظ التي لا تنتمي إلى نفس القسم الحجاجي ورغم ذلك فإنّها تقود إلى نفس النتائج والمفاهيم ولئن كانت هذه العوامل تكسر وتتعارض مع مبادئ نظرية السلالم الحجاجية التي تقوم على مبدأ أساسي وهو ضرورة انتماء الحجج إلى نفس القسم فإنّها تكشف عن شكل آخر من أشكال اشتغال اللغة حجاجيا وهذا الضرب من العوامل وهذا الصنف من الملافيظ هو الذي اضطرّ موشلار وريبول إلى محاولة فهمه بالمربّعات الحجاجية وبان جليّا في الأثناء أنّ هذا الصنف من العوامل قد كشف عن عبقرية اشتغال اللغة في جانب لم تبرهن عليه السلالم الحجاجية.

إنّ نجاعة البحث في العوامل الحجاجية واضح في محاولة الكشف عن لغز طالما وقف عنده الفلاسفة واللغويون والمناطقة وهو لغز اللغة ولا ندّعي أنّ البحث في العوامل الحجاجية قد كشف عن الجهاز في كليته ولكن في ما نرى أنّ العوامل قد أضاءت زاوية من زوايا الدرس اللغوي وكشفت عن عبقرية اللغة في جانب ما.

قائمة المصادر والمراجع

❖ المراجع بالعربية:

- **ابن الأثير** (أبو الفتح): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح. محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1990.

- **ابن جني** (أبو الفتح): الخصائص، تح. محمد علي النجار، بيروت، د. ت.

- **ابن عاشور** (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997.

- **ابن يعيش** (موفق الدين): شرح المفصل، عالم الكتب، د. ت.

- **التهانوي**: كشاف اصطلاحات الفنون، طبعة الخياط، بيروت، 1966.

- **الجرجاني** (عبد القاهر): دلائل الإعجاز، تصحيح، محمد رشيد رضا، بيروت، لبنان، د. ت.

- **الحضري** (محمد): أصول الفقه، دار الفكر، بيروت، 1988.

- **الزحيلي** (وهبة): أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، ط 1، 1986، ط 2، 1996.

- **الزركشي** (بدر الدين): البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، د. ت.

- **الزمخشري** (أبو القاسم): حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1948.

- **السكاكي** (أبو يعقوب): مفتاح العلوم، تح. نعيم زرزور، ط 1، 1983.

- **السّيوطي** (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

- **السيوطي** (جلال الدين): الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، د.ت.

- **الصابوني** (محمد علي): صفوة التفاسير.

- **الغزالي** (أبو حامد): المستصفى من علم الأصول، بيروت، 1993.

- **المبخوت** (شكري): نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، منشورات كلّية الآداب منوبة، 1998.

- **المبخوت** (شكري): عمل النفي وخصائصه في العربية، أطروحة دكتوراه دولة مرقونة بقاعة الأطروحات، كلّية الآداب منّوبة.

- **المتوكّل** (أحمد): الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1985.

- **مسلم** (أبو الحسن): المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن عدل عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ص 359، حديث عدد 1712، ط1، دار الفكر، 2000.

- **الهيشري** (الشاذلي): القصر في سورة البقرة، حوليات الجامعة التونسية، عـ26ـدد، 1987.

- **بارط** (رولان): قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، 1994.

- **جمال الدين** (مصطفى): البحث النحوي عند الأصوليين، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980.

- **صولة** (عبد الله): الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، تونس، 2001.

- **صولة** (عبد الله): الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة، لبيرلمان وتيتكاه، ضمن مؤلّف جماعي، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، 1998.

- **فاخوري** (عادل): منطق العرب، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط 2، 1981.

- **قطب** (السيّد): في ظلال القرآن، دار الشروق، 1988.

- **القرآن الكريم** برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي عن عبد الرحمان عبد الله بن حبيب السلّمي عن عثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأوبيّ بن كعب عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

❖ المراجع بالفرنسية:

- **Anscombre** (J.C): Les connecteurs (in), Linx, n° 46, 2002.

- **Anscombre** (J.C): Théorie de topoï,(éd), Kimé, 1995.

- **Anscombre** (J.C): Dynamique du sens et scalarité, Colloque de Cerisy, 1987.

- **Ben Masar** (Abdelmajid) : Logique symbolique et élémentaire, (éd) C.P.U, T2, 2000.

- **Carel** (M) et **Ducrot** (O): Le problème du paradoxe dans une sémantique argumentative, (in) langue française, n° 123, 1999.

- **Caron** (J): Les régulations du discours : Psycholinguistique et pragmatique du langage. P.U.F.

- **Chiglione** (R): Opérateurs argumentatifs et stratégies langagiers (in) argumentation et rhétoriques, C.N.R.S., 1995.

- **Ducrot** (O) et **Anscombre** (J.C): L'argumentation dans la langue, (éd), Mardaga, 1997.

- **Ducrot** (O): Le dire et le dit, (éd) Minuit, 1984.

- **Ducrot** (O): Les échelles argumentatives, (éd) Minuit, 1980.

- **Ducrot** (O): Les mots du discours, (éd) Minuit, 1980.

- **Jakobson** (R) : Essais de linguistique générale, traduit et préfacé, par Nécoles Ruwet, (éd) Minuit, 1963.

- **Lundquist** (Lita): Le factum textus; fait de grammaire, fait de linguistique ou fait de cognition (in) langue française, n° 121, 1999.

- **Meyer** (Michel): Logique, Langage et argumentation, (éd) Hachette, 1983.

- **Moschler** (J): Théorie praguistique et pragmatique conversationnelle, (éd) Armand Colin, 1996.

- **Orecchioni** (C.K): L'implicite, (éd) Armand Colin, 1986.

- **Perelman** (Ch) et **Tyteca** (LO): Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, (éd) Bruxelles, 1992.

- **Plantin** (Ch) : Essais sur l'argumentation, (éd) Kimé, 1990.

- Pratique de la philosophie de A à Z. éd. Matier, 2001.

- **Reboul** (A) et Moschler (J) : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, (éd) du Seuil, 1994.

- **Reboul** (A) et Moschler (J) : Pragmatique du discours : de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours, (éd), Armand Colin, 1998.

- **Rooth** (A) : L'argumentation dans le discours, (éd), P.U.F, 2001.

- **Sperber** (Dan) et **Wilson** (Diedre) : La pertinence : communication et cognition traduit de l'Anglais par Abel Gerschenfeld et Dan Sperber, (éd), Minuit, 1989.

- **Tamine** (J.C) : La stylistique, (éd). Armand Colin, 1992.

- **Toulmin** (S) : Les usages de l'argumentation ; traduit de l'anglais par Philippe de Barbanter (éd.) P.U.F., 1993.

الـفـهـرس

شكـر _____ 5

الإهــداء _____ 7

تنويـه _____ 9

تصدير_____ 11

مقدّمة: في مفهوم العامل الحجاجي _____ 13

I- واقع الدّراسات المتعلّقة بالعوامل الحجاجيّة: _____15

II- الحجاج التقني ومفهوم العامل الحجاجي في كتابات ديكرو وأنسكومبر ودورها في صناعة التوجيه: _____26

III- المظاهر الحجاجية التي يكتسبها الملفوظ بدخول العوامل عليه: أو الوظائف الحجاجية التي للعامل الحجاجي: _____35

الفصل الأوّل: العامل الحجاجي والمفهوم_____ 37

I- العامل الحجاجي وأحادية المفهوم (مفهوم المخالفة عند الأصوليين ونظرية المفهوم عند بعض اللسانيين): _____42

I. 1- عاملية أدوات النفي: _____47

I. 2- عاملية أدوات القصر والاستثناء: _____54

I. 2. 1- عاملية "إنّما" + "ضمير الفصل" + "الـ الموصولة": _____54

I. 2. 2- عاملية إن / ما / ليس..... إلاّ: _____60

II- العامل الحجاجي وتعدّد المفاهيم أو الاستلزامات: دور المقام: _____67

II. 1- المفهوم والمقام: _____67

II. 2- المقامات موسومة في الملفوظ بواسطة العامل: _____72

189_____

III خاتمة الفصل الأوّل : _____ 76

الفصل الثاني : العامل الحجاجي والموضع _____ 79

I- الموضع : تعريفه وأقسامه وأهمّيته في الحجاج : _____ 81

I. 1- تعريف الموضع : _____ 82

أ- مواضع الكمّ Lieux de quantité : _____ 84

ب- مواضع الكيف Lieux de qualité : _____ 85

ج- مواضع أخرى Autres lieux : _____ 85

I. 2- أقسام المواضع : _____ 89

I. 2. 1- المواضع بماهي أفكار عامّة Idée générale/ Reçue : _____ 91

I. 2. 2- المواضع بماهي أشكال فارغة Forme vide : _____ 94

I. 3- أهمّية المواضع في الحجاج : _____ 98

أ- القيمة الاستدلالية : _____ 100

ب- القيمة الخطابية : _____ 102

II- مزية العامل في الحجاج : العامل يقدح الموضع ويعطّله : _____ 104

II. 1- العامل وقدح الموضع activation du topoï "إنّما" نموذجا : _____ 104

II. 2- العامل الحجاجي وإبطال الموضع l'inhibition du topoï : ما... سوى / إن... إلاّ / ما... إلاّ نموذجا : _____ 109

III خاتمة الفصل الثاني : _____ 116

الفصل الثالث : العوامل الحجاجية وهيكلة الملفوظ الحجاجي : السلالم الحجاجية والمربّعات الحجاجية _____ 119

I- العوامل الحجاجية والسلالم الحجاجية : _____ 121

_____ 190

I. 1- مفاهيم متعلّقة بالسلالم الحجاجية : 121
I. 1. أ- مفهوم السلّمية : 121
أ - 1/ سلمية المعجم 123
أ- 2/ سلمية الصرف 125
أ- 3/ سلمية النظام البلاغي 127
I. 1. ب- مفهوم القسم الحجاجي : 129
I. 2- العوامل الحجاجية ودورها في إنشاء السلالم الحجاجية : "حتّى" و"بل" و"الواو"
نموذجا : 133
أ- "حتّى" نموذجا : 133
ب- "بل" نموذجا : 138
ج- "الواو" نموذجا : 152
II. 2- القسم الحجاجي والمربّعات الحجاجية : الحجج غير المنتمية إلى نفس "ق.ح" : 159
III خاتمة الفصل الثالث : 165
الخاتمة : العامل الحجاجي ومبدأ الإفادة في التواصل 167
قائمة المصادر والمراجع 179
❖ المراجع بالعربية : 181
❖ المراجع بالفرنسية : 184
الفهرس 187

191